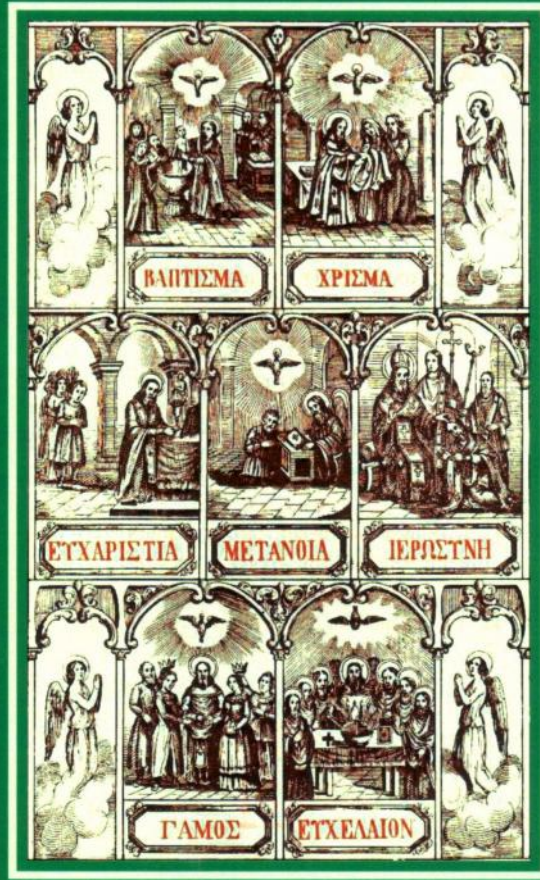


الأسرار الإلهية في الكنيسة الأرثوذكسية

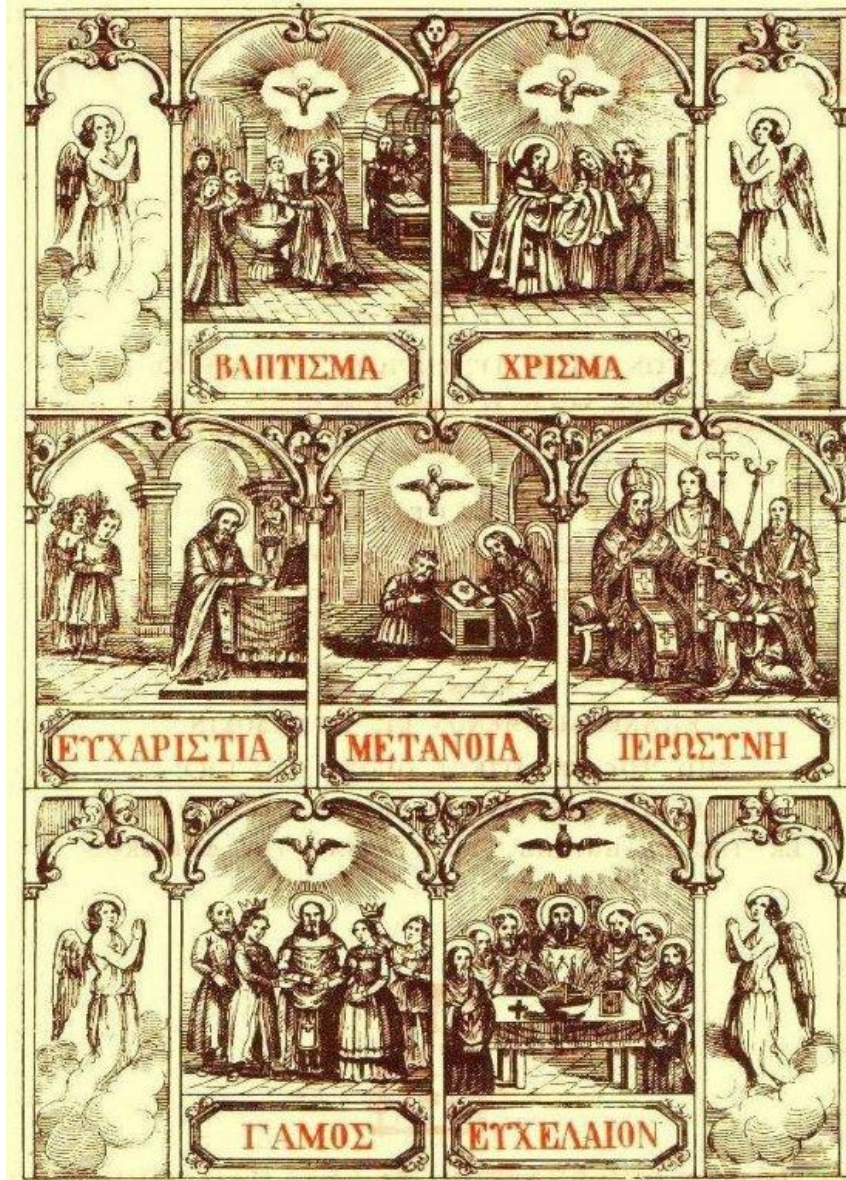
# سِرُّ التَّوْبَةِ و سِرُّ الزَّيْتِ الْمُقَدَّسِ



المطران/ نقولا أنطونيو

# الأسرار الإلهية في الكنيسة الأرثوذكسية

١٠



/ نقولا أنطونيو



/ نقولا أنطونيو  
متروبوليت طنطا وتوابعا  
والوكيل البطريركي لشؤون الناطقين بالعربية

يقول كاباسيلاس : «هي : بها  
يُدخلُ المسيحُ ملكوته. إنها  
وجه فتحها المسيحُ جديد ( حياة )  
الإلهي).

الكنيسة الإلهية يتقبلها جميع المسيحيين بإرادتهم  
الشخصية، للتعبير منهم قبوله الإيمان يسوع  
المسيح وكنيسته الوديدة إليها  
القديسين. الكنسية  
الإلهية تظهر للكنيسة  
لها. والطقسية

يقول الكاهن: «يُعَمِّد ( )»  
بالميرون يقول الكاهن: «يُمسَح ( )»  
يقول الكاهن: «يُنَاوَل ( )» وهكذا .

المهم إيضاح تعليم كنيستنا الأرثوذكسية  
هذه هي الحسية بها ينال  
الإلهية، ليكون منها ليس  
كنسية، غير  
ينالها هذه تنقية تبرير وتقديس  
للخطايا المسيح ومواهبه  
لله.

يسوع المسيح، هذه  
كنيستنا الأرثوذكسية، هذه  
أبنائها لبيان التعليم  
أرثوذكسية مع إضافات لي  
الكنسية  
بين الكنيسة الأرثوذكسية  
وبين سواها

واجتهادٍ لإيضاح

أكليروسياً علمانياً.

أنطونيو /

أهدي هذه

التعليم للكنيسة الأرثوذكسية

## تمهيد

### التعليم الأرثوذكسي الأولي عن الأسرار\*

تعريف السر والرمز:

من المهم تعريف التعبيرين "سر" و"رمز" بحسب مفهوم كنيستنا الأرثوذكسية.

السر: في خبرة الكنيسة والتقليد الأرثوذكسيين، هو أولاً وقبل أي أمر آخر يعتبر كشفاً للطبيعة الحقيقية للخليقة، التي تبقى على سقوطها وعلى وجودها في "هذا العالم"، عالم الله المتطلع إلى الخلاص والفداء وإلى تجلي سماءً جديدة وأرضاً جديدة. وبتعبير آخر أن "السر" بحسب الخبرة الأرثوذكسية يكشف الطابع الأسراري للخليقة؛ لأن العالم إنما خلق وأعطى للإنسان لتتحول حياة الخليقة إلى مشاركة في الحياة الإلهية. فإذا كان يمكن أن يتحول الماء إلى غسيل للولادة الجديدة في المعمودية، وإذا كان بعض من أكلنا على الأرض كالحبز والعنب يمكن أن يتحول إلى جسد المسيح ودمه ، مسحة الروح القدس تُمنح بالزيت. أي باختصار إذا كان بمقدورنا التعاطي وكل الأشياء التي في العالم وتقبلها كهبة من الله ومشاركة في الحياة الجديدة، فذلك يعود إلى أن القصد من خلق الكون إنما هو إتمام القصد الإلهي " يَكُون " ( : ).

هذه المقاربة الأسرارية للعالم هي بالضبط مصدر الكونية المنيرة التي تدخل في أدق تفاصيل حياة الكنيسة والتي تطبع التقليد الليتورجي بـ. من هنا نفقه الخطيئة سقوطاً للإنسان، ومن خلاله سقوطاً للخليقة من على هذه الأسرارية. فما كان من المسيح إلا أن أنجز خلاص العالم بأن أعاد إلى هذا العالم تحديداً وإلى الحياة بأكملها أسراريتها هذه. إنه سر كوني وأخروي في الوقت نفسه [كلمة "أخروية" في اليونانية "εστ" (إسخاتولوجيا)، وتعني ما هو متعلق بنهاية العالم، والمجيء الثاني للمسيح، وقيامه الأموات، والدينونة العامة، ومصير الإنسان ما بعد الموت]، إنه إعلان ظفر المسيح. وعليه فهذا يعني

\* الإفخارستيا سر الملكوت، الأب الكسندر شميمن، منشورات النور.

" " والتقليد الأرثوذكسيين هو الكنيسة. وبما

أن الكنيسة هي "سر" فهي تُبنى وتُعلن الشكر (الإفخارستيا) المقدس. والكنيسة ليست، إستنادًا إلى التقليد الأبائي القديم، موضوع يقبل التحديد، إنما هي خبرة حياة جديدة. إنها خبرة تكون فيها البنية المؤسسية والتراثية والحقوقية (الكنسية) والليتورجية... بنية أسرارية، رمزية بجوهرها.

والرمز: في مفهوم الكنيسة الأصلي له والتقليد الأرثوذكسي، هو أن الرمز يشرح حقيقة ما يحدث، وليس إنه يرمز مجازًا إلى ما يحدث. فمعنى "الرمز" لي خبرة الكنيسة والتقليد الأرثوذكسيين لم يكن رديفًا "التصوير". إذ يمكن ألا يكون هناك أي شبه، من أي نوع كان، بين الرمز وما يرمز إليه. إن وظيفة "الرمز" الأساسية لا تكمن في التصوير (ما يُفترض ضمناً غياب ما يُصور)، بل وعلى نقيض ذلك تمامًا، في أنها ترمي أولاً وأخيراً إلى ما يُرمز إليه وإشراك المؤمنين في هذا الكشف. من هنا، يمكن البعض أن يقول إن ما بين الرمز والحقيقة التي يُرمز إليها هو تواصل أكثر منه تشابه. وهذه المقاربة للرمز تجعلنا ندرك عمق الهوة السحيق بين القديم والحديث.

إستنادًا إلى هذا الأخير (الحديث)، يمكن للرمز أن يكون صورة أو مدلولاً لشيء يختلف كلياً، لا نجده بالفعل في الرمز ( )

التي يشار إليها في الكيمياء بالرمز  $H_2O$ ). في حين أن الرمز بحسب المفهوم القديم، هو إعلان بل حضور لشيء آخر، يُبرز الطبيعة الأخرى لما يُرمز إليه على أنه تحديداً آخر، أي على أنها حقيقة لا يمكن في الظروف الراهنة أن تكشف نفسها إلا من خلال الرمز. ما يعني أن لا يمكن الفصل بين الرمز الأصل والإيمان، فالإيمان هو بالضبط "الدليل على حقيقة وجود الأشياء غير المنظورة"، وهو سعي إلى معرفة وجود هذه الحقيقة الأخرى، وهو أبعد ما يكون عن الاختبار العلمي الذي يحتاج إلى إثبات. لكن في الإمكان ولوجه وتناوله، إنه حقيقة لا يرقى إليها الشك. فإذا كان "الرمز" يفترض وجود الإيمان، فالإيمان بدوره يتطلب رمزاً. والإيمان، خلافاً للإعتقاد البسيط أو المذهب الففي، هو تحديداً "شركة وعطش إلى الشركة، إنه تجسد وعطش إلى التجسد وإلى إعلان وحضور وإلى فعل

حقيقة على أخرى". هذا هو " "

" ، على نقيض " السر " يجمع حقيقتين،

الأولى: الحقيقة التي تستند إلى إختبار، أو الحقيقة "المنظورة". والثانية: الحقيقة الروحانية، أو "غير المنظورة". وهذا الجمع لا يتم بطريقة منطقية (هذا معناه كذا)، ولا بطريقة التماثل (هذا يماثل لذلك)، ولا وفق علاقة سببية (هذا سببه كذا)، بل إستعلانياً . كل حقيقة تكشف حقيقة أخرى لكن (وهذا هو المهم) فقط بقدر ما يكون الرمز نفسه تعبيراً عن الحقيقة الروحانية وتجسيداً لها. بتعبير آخر، في "الرمز" الكل يعلن الحقيقة الروحية، وكل شيء فيها ضروري لإعلانها. لكن ما يُكشف ويتجسد ليس كل الحقيقة الروحانية. فـ"الرمز" يبقى جزئياً مبتوراً دوماً، "لأننا نعلم " (اكو ١: ٩)، كما يجمع حقائق لا تقاس،

إذ تبقى كل واحدة منها بالنسبة للأخرى "حقيقة أخرى كلية". مهما كان الرمز حقيقياً، ومهما اتحد والحقيقة الروحانية، فوظيفته ليست بل زيادته، "أعطينا أن نتحد بك حقيقة في اليوم الذي لا يعرفه مساء... " (الأنافورا). الهدف من الرمز أن يقدم لنا رؤية ومعرفة تكونان بمثابة عطش وشوق إلى المسيرة الروحية الكاملة.

وإذا كان القديس الإلهي ذو طابع رمزي، فلأن القديس الإلهي تكوّن وإتخذ هيكلته في بادئ الأمر بصفته رمزاً للملكوت والكنيسة في صعودها إلى السماء، مكملة نفسها في هذا الصعود كجسد للمسيح وكهيكل للروح القدس. كل جديد القديس الإلهي وطابعه الفريد يكمنان بالضبط في طبيعته الأخروية "التي تنتظر المجيء الثاني" والتي تكشف ما سيحصل، فهو إتحاد الملكوت بـ"الدهر الآتي". غير أن رمز الملكوت بامتياز؛ والرمز الذي كمل كل الرموز، ورمز يوم الرب والفصح والمعمودية وكل الحياة المسيحية "المستمرة مع المسيح في الله" (كو ٢: ٣)؛ هو سر الشكر (الإفخارستيا)، السر الذي من أجله أتى المسيح القائم من بين الأموات وسر لقائه والشركة معه "إلى مائدته وفي ملكوته"، السر الذي نتناول منه جسد المسيح ودمه الحقيقيين الإلهيين.

حُجِّم "الرمز" من مفهوم يشرح حقيقة ما يحدث، إلى مفهوم يرمز مجازاً إلى ما يحدث، ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى الانحطاط الذي نال المفهوم الأصيل للرمز في الوجدان المسيحي. منذ نشؤ الكنيسة،



والإيمان المسيحي يعترف جهارًا ويتمسك بحقيقة إستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الحقيقيين الإلهيين. وعليه، فإن أي " " بين هذه الحقيقة وأي لون من ألوان " " كانت تعتبر تهديدًا لـ"الحدث حقيقي والفعلي" (الإفخارستيا)، أي تهديدًا للحضرة الحقيقية للجسد والدم الإلهيين على المائدة. ومن هنا أيضًا، وأخيرًا، محاولات تفسير "حقيقة هذه الإستحالة" باللجوء إلى مقولات أرسطو حول "الجوهر" " " وتحديدتها على أنها "إستحالة في الجوهر"؛ هل أن جوهر جسد المسيح يحل محل جوهر الخبز، في حين عَرَضَ هذا الأخير يحل محل عَرَضَ جسد المسيح؟. إن هكذا شرح لا يفيد بشيء للمؤمن الذي يعترف كل قداس إلهي بأن "هذا هو جسدك نفسه... وهذا هو دمك الكريم عينه". أما بالنسبة للعقل، فهو ليس سوى محاولة تفسير غير مفهومة فُرِضت على القوانين تَدَّعي ( ) أنها تستند إليها. وأدى ذلك في نهاية المطاف إلى قطع كل صلة فعلية بين القداس الإلهي نفسه، سواء كان ذلك بتعدد أجزائه أم في وحدته ككل، وبين تحول مواد الخبز والخمر، وتاليًا إلى إستبعاده عمليًا من محاولات تفسير الأسرار.

## - تعريف السر

" " يراد ذهننا مفهوم  
يمكن إيضاحه، يمكن فهمه، الأحجية يمكن حلها.  
يبدو " " تفهم " هذا يطابق  
مفهوم الإيمان المسيحي، المسيحي يختلف بالكلية

فالقديس يتحدث " " رسائله يستخدم  
"Μυστήριον" (Mysterion)، كما في رسالته إلى أهل كولوسي بقوله:  
" (ὁ μυστήριον) الدُّهُور الأجيال، لِكِنَّهُ الآن  
أظهرَ لِقَدَيْسِيهِ" ( : ). ملياً يستعمل فيه  
هذه أنه يشير الخلاصي  
ظهر الأخيرة

يسوع المسيح. " " وجهة المسيحية، هو رفيق  
الحقيقة. فحقيقة المسيحية هي "هكذا" ابنه  
الوَحِيدَ، يَهْلِكُ يُؤْمِنُ بِهِ، لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو  
: ) وهذا هو .

### اليونانية "Μυστήριον" (Mysterion)

في كتب العهد الجديد إلى اللغة اللاتينية "Sacrament". وهذه الكلمة  
اللاتينية هي كلمة قانونية تعني الق ( م اليمين في المحاكم  
اليوم). وطوال ما يزيد على الألف سنة استعملت الكنيسة  
"Sacrament" بمعان عديدة فهي تعذ حقائق الإيمان المسيحي التي هي:  
سر الثالوث الأقدس، و

هذه الكلمة معناها الواضح للدلالة على "

الكبرى" " " اليونانية "Μυστήριον"  
الإنجليزية بكلمة "Mystery" وليس "Secret". (Mysterion)

السر حسب تعريف الاعتراف المستقيم الرأي هو عمل مقدس به تنال نفس المؤمن نعمة الله غير المنظورة تحت علامات منظورة، وهو مرتب من ربنا يسوع المسيح الذي بواسطته ينال النعمة الإلهية كل واحد من المؤمنين، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «لأن المسيح لم يسلمنا شيئاً حسيّاً، بل سلمنا بالأشياء الحسيّة كل ما أعطانا روحياً. هكذا في المعمودية أيضاً؛ أما بالشيء الحسيّ فتصير منحة الماء، ولكن المُكمل روحيّ وهو الولادة والتجديد. لأنك لو كنت بلا جسم لكان سلمك المواهب العديمة الجسم مجردة، ولكن بما أن النفس متحدة بالجسم فقد سلمك العقليّت (غير الحسيّات) بالحسيّات».

لك تكون الأسرار في جوهرها أعمالاً

الإلهية للمؤمنين ومن ثمّ ليست رسوماً للمواعيد الإلهية فقط، بل هي أيضاً أدوات تفعل ضرورة في المتقدمين إليها بواسطة النعمة الإلهية. أوصافها الجوهرية حسب تعليم الكنيسة فهي، \_\_\_ : أنها مؤسّسة من الله. ثانياً: أنها ذات هيئة أو صورة منظورة أو حسية. \_\_\_ : أنها تُناول النعمة الإلهية غير المنظورة لنفوس المؤمنين.

وعليه يُخلص : " " الحديث الكنائسية  
يعني السبيل الولوج حياة . هي  
يُمكن اختبارها جسديّاً، مادياً التاريخ.  
الكنائسية ليست فوازير وأحاجي، بل هي فيض الإلهية  
يمكن عمقها جوهرها، ولهذا هي " إلهي".

- الأسرار وعددها

إن يكن الآباء القديسون ومعلموا الكنيسة لم يذكروا ذكراً صريحاً عدداً إن ولم تصل إلى أيدينا مؤلفات منهم تبحث في الأسرار كلها معاً لكنهم قد بحثوا وذكروا كثيراً في مؤلفاتهم تارةً سرّاً واحداً فقط وتارةً إثنين وتارةً ثلاثة كما كانت تقتضي الظروف والغاية من مقالاتهم. لكن ينبغي أن نتذكر العادة التي كانت سائدة في الكنيسة بحفظ التعليم السري مكتوماً وتسليمه إلى أهله فقط، كما يؤكد القديس باسيليوس الكبير في رسالته القانونية إلى أمفيلوشوس حيث يقول: «إن الكنيسة فضلاً

عقائدها وتعليمها المكتوب تحتفظ ما تسلمته من تقليد الرسل سرًا». ذكر صريحًا في هذه الرسالة بعض الترتيب مما يتعلق بسر المعمودية والمسحة والشكر، أبدى هذا السؤال: «من أية كتابة أخذنا هذه كلها؟ أليس من هذا التعليم السري غير المشاع الذي حفظه باؤنا بصمت خالٍ من البحث والاستقصاء، إذ تعلموا حسنًا أن يحفظوا الأسرار الموقرة بصمت؟ لأنه كيف يليق أن يباح بالكتابة تعليم الأشياء التي لا يُسمح لغير كاتبها أن ينظروا إليها؟». يوحنا يتكلم سرين وديونيسيوس الأريوباغي يتحدث ( يوشافاط متروبوليت ) ( فيذكر وهناك اللاهوتيين البيزنطيين يتفقون

الكنيسة الأرثوذكسية ه كما  
لاهوتيون الأسرار السبعة في الكنيسة مقابلةً ومساويةً في العدد

- سبعة مواهب الروح القدس في ملئها، والتي ذكرت في سفر إشعياء  
(الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم): "وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ

#### الفهم

بأسرار الكنيسة . ومقابلةً أيضًا للخبرات السبع التي أشبع الرب  
به ( : - ) .

- لمنارات الذهبية السبع التي رأى يوحنا مُشاهد الأسرار ابن  
في وسطها (رؤ : ) .

مخلصنا وقتنئذٍ ضابطًا إياها في يده (رؤ : ) .

- لأختام السبعة التي كان مختومًا بها الكتاب الذي رآه في يمين الله  
(رؤ : ) .

- لأبواق السبعة التي أعطيت للملائكة السبعة الواقفين قدام الله بعد فتح  
(رؤ : ) .

" يرمز إلى الكمال والملء ويُعتبر ذا كرامة، ذلك  
أنه عند اليهود آخر أيام الأسبوع هو يوم السبت، وهو اليوم السابع الذي  
باركه الله وقدس فيه وفيه استراح بعد أن أكملت السماوات والأرض.

سبعة هي: المعمودية، المسحة (الميرون)

( ) صلاة الزيت الزيجة الكهنوت. فبالمعمودية، يُولد الإنسان ولادة ثانية سرية للحياة الروحية. \_\_\_\_\_، ينال النعمة التي تُنميه وتثبتته في الحياة الروحية. \_\_\_\_\_، يُتحد روحياً مع يسوع المسيح نفسه. \_\_\_\_\_، يُشقى من أمراضه النفسانية وهي الخطايا. وبصلاة الزيت، ينال شفاء الأمراض النفسانية والجسدية أيضاً. وبالزيجة، ينال النعمة المقدسة السيرة الاقترانية للولادة الجسدية ولتربية الأولاد مسيحياً. وبالكهنوت، ينال نعمة بها يُجدد ولادة الآخرين الروحية بواسطة تكميل وتعليم كلام الله.

غير أنه حين التحدث ينبغي

أخرى هي دورها التقديسية  
: تبريك المياه عيد الظهور الإلهي، صلاة تقديس المياه الصغرى  
لتبريك المنازل، الكنائس بالزيت وقت تدشينها، ارتداء الإسكيم  
الرهباني، وخدمة ... الخ. جميع هذه هنالك  
روحية غير . والكنيسة الأرثوذكسية أيضاً  
كبيراً التبريكية الصغيرة هي طبيعة  
: والزيت والفاكهة،

والأشياء . لهذه الصغيرة  
الأحيان هدف صلوات تكريس مثل: تكريس  
السيارات الديدان المؤذية. وليس  
فرق بين الأساسية التكريس هذه، يجب  
يُنظر للحياة المسيحية كبير يجري التعبير  
جوانبه الصيغ والأساليب، بعضها يمارس  
حياة الآخر يمارس يوم تقريداً.

- الشروط المطلوبة لتتميم الأسرار:

يطلب لتتميم كل سر من الأسرار ثلاثة شروط. \_\_\_\_\_:

لتتميم السر، مثل الماء للمعمودية والخبز والنبيد للشركة والزيت للمسحة وغير ذلك من سائر الأسرار. ثانياً: أسقف، أو كاهن، مُشرطن قانونياً. \_\_\_\_\_:

استدعاء الروح القدس بالعبارات المعينة لتقديس السر من  
الكاهن، بقوة وحلول الروح القدس.

## إيمان الكنيسة ه بين الأسرار وماهيته

- إيمان الكنيسة في السر

إيمانها إن الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة

الخطايا بسر التوبة،  
ننانيين الهراطقة الذين كانوا  
يقولون: «ن من الخطايا ما لا يمكن الصفح عنها بسر التوبة مثل عبادة  
الأصنام والقتل وأدناس الجسد». ت النواتيين الذين كانوا  
يعتقدون عقائد المونتانيين ويزيدون عليها خطيئة إنكار الإيمان حين  
الاضطهادات وسائر الخطايا الثقيلة [كما يذكر أبيفانيوس (+٤٠٣)  
هراطقته : ] والخفيفة أيضاً [كما يذكر أفلوجيوس الاسكندري (+٦٠٧)  
في ضد النوانيين كتاب ٤]. وهؤلاء أدانهم المجمع المكاني الذي انعقد في  
القرن الثالث في رومية بقوله: «وأما نواثس والذين تشامخوا معه والذين  
اختاروا أن يتبعوا رأيه في بغض الأخوة والقساوة، يجب أن يُعتبروا من  
الخارجين عن الكنيسة» (تاريخ أوسابيوس).

كما حددت في مجامعها أنه لو سقط رؤساء كهنة أنفسهم في أثقل الخطايا  
وتقدموا إلى التوبة فبعد أن يتمموا القوانين اللازمة يُعتبرون بلا ريب  
قين الصفح (كتاب القوانين تحت عنوان " ").

- لتوبة بما سبقه من أسرار

وبسر الزيت المقدس

إن الإنسان ينال بالأسرار الثلاثة السابقة (المعمودية، المسحة، الشكر)  
المواهب الروحية الضرورية لكي يصير مسيحياً وينمو في التقوى وينال  
الحياة الأبدية والغبطة. فالمعمودية تُظهر الخاطيء من الخطيئة الجاية ومن  
كل خطيئة كانت طوعية أو كرهية دخله ملكوت نعمة ربنا يسوع المسيح.

\_\_\_\_\_ تمنحه قوى جديدة لثباته ونجاحه في حياته بالنعمة. \_\_\_\_\_  
الشكر الإلهي يُغذيه إلهياً ويجعله متحدًا مع ينبوع النعمة والحياة الأبدية  
نفسه. لكن بما أن الإنسان بعد تنقيته بالمعمودية من الخطيئة لا يُعتق من  
نتائج الخطيئة ية والفساد الموروث، الذي هو الميل إلى الشر، ولا  
يتحرر من الأمراض الجسدية والموت حُكم به على آدم وذريته من

وبما أن المسيحي بعد المعمودية يمكن أن يُخطأ كثيرًا وأحيانًا أن يمرض  
أمراضًا ثقيلة ربما أنتت به إلى حافة القبر، فقد سرَّ الله بصلاحه الذي لا يُد  
ومحبته للبشر أن يُقيم في الكنيسة سرَّين آخرين بمثابة علاجين خلاصيين  
للإعضاء المتألّمة في الكنيسة وهما \_\_\_\_\_ الذي يُشفي الأمراض  
الروحية وسر الزيت المقدس الذي تمتد نتائجه الخلاصية وفاعليته  
الأمراض الجسدية.

- تعريف سر الـ وَسِمُوهُ

حيث هي سر فهي عمل مقدس به يطلب ويتضرع  
الكنيسة الروحي أن يصفح ويغفر للمسيحي التائب والمُعترف عن  
جميع خطاياها التي فعلها بعد المعمودية واعترف بها فيتجدد تبريره ويتقدس  
خرج فيها من جرن المعمودية.

الكنيسة ومعلموها الأقدمون سر التوبة: " " (ترتليانوس في التوبة  
( " " (إريناوس ضد الهرطقات ) " " )  
( "معمودية ثانية" )

( "ميناء ثاني بعد الغرق" (ترتليانوس في التوبة ٤).  
نفسه يعمل هذا ترويض الكاهن يمنح الخطايا  
يقدم أيضًا



## الوعد الإلهي بسر التوبة وتأسيسه واستعماله في الكنيسة

إن ربنا يسوع المسيح قبل أن يؤسس سر التوبة وعد به مرتين، \_\_\_ :  
عترف بطرس عنه وعن سائر التلاميذ، عندما سألهم: " ( : ) " <sup>هُوَ</sup>  
المسيحُ ... تَرِبْطُهُ يَكُونُ  
تَحْلُهُ يَكُونُ " )  
١٦:١٧ - ) . ثانياً: عندما وعد جميع التلاميذ رؤساء الكهنة، بقوله: " <sup>هُوَ</sup>  
إِلَيْكَ فَأَذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ .  
يَسْمَعُ الكَنِيسَةَ فَلْيَكُنْ .  
تَرِبْطُونَهُ يَكُونُ  
تَحْلُونَهُ يَكُونُ " ( : - ) .

### - تأسيس الرب

وفقاً لوعده الصادق أسس ربنا بعد قيامته من الأموات  
ظهر لتلاميذه وقال لهم: "سَلَامٌ" . <sup>الآبُ</sup>  
هَذَا نَفَخَ لَهُمْ خَطَايَاهُ .  
" (يو : - ) .

فمن هذه الأقوال يتضح أن الرب أعطى الرسل وخلفائهم سلطانه الإلهي  
أن يَ لُوا ويربطوا خطايا البشر وأن يتركوها ويمسكوها بواسطة الروح  
القدس، أي بقوته وفعله غير المنظور في عمل مقدس ومنظور ظاهر  
للعيان. فعلى ذلك تكون التوبة سرًا حقيقيًا مستوفيًا جميع الأوصاف  
طلوبة لكل واحد من أسرار الكنيسة، أي هي عمل مقدس به ينال المؤمن  
غير المنظورة تحت علامات محسوسة.

### - في الكنيسة

كان سر التوبة ولم يزل ثابتاً منذ أزمنة الرسل إلى الآن في الكنيسة بملء التدقيق، ورعاة الكنيسة الروحانيون قد حفظوا دائماً الحق الذي أخذوه من الرب في أن يَ لُوا ويربطوا. ففي قوانين الرسل دُكر: « أسقف أو قسيس لا يَقْبَل مَنْ يَرْجِعُ عَنْ خَطِيئَتِهِ بَلْ يَطْرُدُهُ يُقْطَعُ، لِأَنَّهُ يَحْزَنُ الْمَسِيحُ الْقَائِلُ: "يَكُونُ فَرَحٌ بِخَاطِيئِ يَتُوبُ" ( ٧:١٥ ) » ( ) . وأوامر الرسل من جهة تُذَكِّرُ متقدمي الكنيسة بأنهم أُوْتَمِنُوا ( ) ، وتبيِّن لهم الطريقة التي بها عليهم يفحصوا الخطاة ( ) ويرشدوا التائبين ( ) ومن جهة أخرى توصي المؤمنين أن يُكْرَمُوا آبائهم الروحانيين، حيث تقول: « رُوهم وَاكْرَمُوهم وَقَدَمُوا لَهُم جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْكِرَامَةِ، لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ سُلْطَانَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ بِأَنْ يَحَاكُمُوا الْخَطَاةَ وَيَحْكُمُوا بِمَوْتِ نَارِ أَبَدِي وَأَنْ يَحْلُوا الرَّاجِعِينَ عَنْ خَطَايَاهُمْ » ( ) .

#### ٤- شهادات آباء الكنيسة

معلموا الكنيسة في هذا الموضوع:

فالقديس كبريانوس كتب: «إن هؤلاء قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلي ويظهروا ضميرهم ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجراحهم الروحية ويستعطفوا الرب على الإهانة التي أهانوا بها إيمانه العديم العيب يتجاسرون بلا حياء أن يشتركو بجسد الرب ودمه... فاطلب إليكم أيها الأحباء أن تعترفوا بخطاياكم ما دمتم في الحياة الحاضرة حيث صفح الخطايا الممنوح من للكهنة مقبول ومرضي عند الله أيضاً» (في الساقطين (.

والقديس أنثاسيوس يقول: «كما أن المعمد يستنير بنعمة الروح هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح» ( وانبيين).

والقديس باسيليوس الكبير يقول: «إن الاعتراف بالخطايا للمؤمنين على أسرار الله ضروري لأن الذين كانوا يندمون قديماً نرى أنهم هكذا كانوا يصنعوا نحو القديسين. وقد كُتِبَ في الإنجيل إنهم كانوا يعترفون بخطاياهم

ليوحنا المعمدان، وفي أعمال الرسل إنهم كانوا يعترفون للرسل الذين كانوا يعمّدون منهم» ( ) .

والقديس يوحنا الذهبي الفم يقول: « والقاطنين فيها قد سُمح لهم أن يتولوا تدبير وأخذوا سلطاناً لم يُعطيه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة، لأنه لم يقل لأولئك كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون .. م إن للمتسلطين ( )

في الأرض أن يربطوا ولكنهم يربطون أجساداً فقط، وأما هذا الرباط فإنه يمس النفس عينها ويجتاز السماوات وما يعمله الكهنة تحت ( ) يثبته الله فوق ( ) ويؤيد السيد ( ) رأي العبيد (الكهنة)» ( ) الكهنوت خطاب ) .

رتليانوس يقول: «إن الخاطيء يتقوّم بالاعتراف الذي أسسه ( )» .

والبابا لاون يقول: «إنه لأمر نافع وضروري أن تُمحي دينونة الخطأة» ( ) .

وهذا التعليم عينه في سر التوبة يُعلمه لاكتانديوس غريغورغيوس النسيبي أمبروسيوس إيرونيموس غسطينوس كير .

مَنْ لَهُ أَنْ يُتِمَّ السِّرَ ،  
وَمَنْ لَهُ حَقُّ التَّقَدُّمِ إِلَيْهِ

- مَنْ لَهُمْ حَقُّ تَتْمِيمِ سِرِّ التَّوْبَةِ

إن سلطان تَتْمِيمِ السِّرِّ مُنَحٌ أَوَّلًا مِنْ الرَّبِّ لِلرَّسْلِ وَحَدَهُمْ ( : )  
وَمِنْهُمْ أُعْطِيَ لِخَلْفَائِهِمْ رِعَاةَ الْكَنِيسَةِ الْأَسَاقِفَةِ وَالْقُسُوسِ ( : ) ( )  
٧:١). عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْخِدَامِ هُمُ الْآلَاتُ مَنْظُورَةٌ فِي تَتْمِيمِ السِّرِّ  
الَّذِي يَكْمَلُهُ اللهُ نَفْسَهُ بِوَسَائِطِهِمْ بِشَكْلِ غَيْرِ مَنْظُورٍ؛ لِأَنَّ يَسُوعَ قَالَ: " تَرْبِطُهُ  
يَكُونُ . تَحُلُّهُ  
يَكُونُ " ( : ) .

وقد شهد بهذا معلموا الكنيسة القديسة:

فالقديس فرميليانوس أسقف قيصرية كبادوكية (+ ) يقول: «  
سلطان غفران خطايا البشر أُعْطِيَ لِلرَّسْلِ وَالْكَنَائِسِ الَّتِي هُمْ أُسُسُهَا إِذْ  
أُرْسِلُوا مِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَلِخَلْفَائِهِمْ الْأَسَاقِفَةِ» (رسالته للقديس كبريانوس).  
والقديس أمبروسيوس يقول: «مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتْرِكَ خَطَايَا إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ  
وَالَّذِينَ أُعْطَاهُمْ هُوَ هَذَا السُّلْطَانُ» ( ) . وفي محل آخر يقول: «إن هذا  
الحق أُعْطِيَ لِلْكَهَنَةِ وَحَدَهُمْ» ( ) . وفي محل آخر أيضًا يقول:  
« يُتِمُّونَ سِرَّ التَّوْبَةِ لِغَفْرَانِ الْخَطَايَا مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ سُلْطَانُ  
ذَلِكَ بِاسْمِهِمْ، إِنَّمَا يَتِمُّونَهُ بِالْأَسْمِ الْمَمْجُودِ اسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ  
. فَهَمْ يَطْلُبُونَ اللهُ وَاللهُ يُعْطِي وَعَلَى الْبَشَرِ الطَّاعَةِ هُنَا وَمِنْ اللهُ الْهَبَةُ  
الْعَظِيمَةُ» ( ) .

والقديس يوحنا الذهبي الفم يقول: «أي سلطان يمكن أن يكون أعظم من  
هذا السلطان؟ أن الآب أعطى الحكم كله للا . وأرى أن هؤلاء تسلموه كله  
... وقد كان للكهنة اليهود أن يُطَهَرُوا بَرَّصَ الْجَسَدِ، وَبِالْأُخْرَى  
يَكُونُوا يُطَهَرُونَهُ بَلْ يَفْحَصُونَ الْمُعْتَقِينَ مِنْهُ. وَأَنْتِ تَعْلَمُ كَمْ كَانَ سُلْطَانُهُمْ  
وَقَتْنُذْ مَشْتَهَى. وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ ( )

لندس النفساني، ولا أن يفحصوه بعد التطهير بل أن يُطهروه تمامًا» (في الكهنوت).

وباكيانوس أسقف أسبانيا (+ ٣٧٠) يقول: «إنكم تقولون ليس أحد غير الله يقدر أن يغفر الخطايا،  
هو من سلطان الله وليس من البشر» ( ).

والبابا لاون يقول: «إن الوسيط بين الله والناس الإله المتأنس يسوع المسيح قد منح رعاة الكنيسة سلطان إعطاء التقديس الذي بالتوبة للتائبين وأن يصفحوا عن خطاياهم بعد تطهيرهم قبلاً بحميم إعادة الولادة فيما هم مستعدون للشركة الإلهية. وبلا شك أن الرب نفسه هو الفاعل الغفران في هذه الخدمة المقدسة» ( ٨٤).

بالإجمال فجميع معلمي الكنيسة يؤكدون أن يسوع المسيح نفسه و  
القدس نفسه هو يصفح عن الخطايا في سر التوبة، وأن آلات هذا السلطان  
المنظور على الأرض هم الرسل والأساقفة والكهنة. فالرعاة لهم أن  
يستعملوا سلطان الحل والربط في سر التوبة فقط، هذا يمكنهم  
أن يغفروا الخطايا والقصاصات المفروضة على المؤمنين الذين يتقدمون  
بسبب الخطايا، أو للذين يتقدمون إليه من دون أن يكونوا قد  
. أما الذين لم يتمموا سر

التوبة بالاعتراف من المؤمنين فالرعاة ليس لهم سلطان أن يستعملوا سلطان  
الحل والربط ليغفروا أو يربطوا من يلتمس منهم هذا.

هذا السلطان، سلطان الحل والربط، المُعط  
يسوع المسيح للرعاة بنعمة الروح القدس هو لغفران الخطايا التي هي  
موجه ضد الله الأب ومشيبته، وليس للرعاة استعماله على من يخطيء في  
شخصهم. ر إلهي مقدس يكون فاعلاً

الكنيسة ويُشترط لذلك يكون عند الاعتراف بالخطايا الكاهن متوشحاً  
بالبطرشيلى (الصدرية) وأمام الهيكل هو الاعتراف،

الكاهن خادم السر ليس سوى شاهد . فر هذه الشروط

فلا يكون السر سر إلهي مقدس؛ ذلك القاضي الذي يحكم في قضية ما  
يكون حكمه صدق يكن في قاعة

- مَنْ لَهُمْ حَقُّ التَّقَدُّمِ لِلسَّرِّ

إن الذين لهم الحق بأن يتقدموا إلى سر التوبة هم المسيحيون وحدهم، لأنهم تطهروا بالمعمودية من كل الخطيئة وصاروا بنين للكنيسة امتلكوا حق التقدم إلى هذا السر المقدس كما إلى معمودية ثانية. وهم يتقدمون إليه كلما دعت الحاجة أن يطهروا ضمائرهم من كل دنس جسدي . لكن الذين ليسوا بعد مسحيين ليس لهم الحق أن يشتركوا في هذا السر قبل أن ينالوا السر الأول من الأسرار المسيحية الذي به يدخلون كنيسة المسيح مطهَّرين من الدنس الجَدِّي ويكون لهم حق أن يشتركوا بسائر أسرارها.

وهذا التعليم الذي هو معلوم أنه من عمل الكنيسة يؤكد معلموها: فالقديس كيرلس الإسكندري يقول: «إن المتوشحين بالروح يتركون يتركون الخطايا أو يُمسكونها بطريقتين كما أرى، إما بأنهم يدعون إلى المعمودية الذين اقتضى نوالهم إياها حسن سلوكهم ومعرفتهم بالإيمان. بأنهم يمنعون البعض ويقصونهم عن النعمة الإلهية لأنهم لم يصيروا بعد مستحقين لها، أو بشكل آخر يتركون الخطايا ويمسكونها وذلك إما بقصاص أبناء الكنيسة عندما يُخطؤون وإما بمسامحتهم إياهم عندما يندمون» ( يوحنا : ) .

أوغسطينوس يقول: «إن الخطية إذا فعلها موعوظ تُغسل بالمعمودية، وإذا فعلها مُعتمٍ» ( ) .

## المطلوب من المتقدمين

إن المتقدم إلى سر التوبة لا يستحق غفران خطاياها ما لم يتبع تعليم الكنيسة الأرثوذكسية، أي المستقيمة الرأي. وهذا التعليم هو: انسحاق القلب عن الخطايا السابقة، عزم ثابت على إصلاح السيرة، إيمان وطيد بيسوع المسيح ورجاء تحننه، واعتراف شفاهي (بالشفاه) بالخطايا أمام

### - انسحاق القلب

إن انسحاق القلب عن الخطايا السابقة خاصية ملازمة جوهر التوبة وطبيعتها؛ لأن الذي يتوب توبة حقيقية لا بد له من أن يعترف بثقل خطاياها ونتائجها المهلكة، ولا بد له من أن يشعر بجريمته قدام الله وابتعاد الله عنه بعدل، ولا بد له من أن يحزن من داخل قلبه ويتخضع وأن يستولى عليه سحاق داخلي. ولا أحد يُنكر إنه حيث يُفقد هذا الانسحاق على الخطايا فهناك ليست توبة حقيقية بل رياء ظاهري. لهذا عندما كان الله يدعو الإسرائيليين في العهد القديم إلى التوبة كان يطلب منهم الانسحاق شرطاً جوهرياً للتوبة، كما ليونيل فتوئيل يلي:  
"الآن، يَقُولُ"

ثِيَابِكُمْ. إِلَهُكُمْ لِأَنَّهُ رَوُوفٌ رَحِيمٌ،  
وَكَثِيرٌ وَيَنَدُّ " (يؤ : ) .  
أراد مخلصنا يسوع المسيح أن يُبين في العهد الجديد ما هي التوبة الحقيقية  
ذكر أوصافها بأمثال قوية وهي:

ص التائب بالابن الشاطر حاكماً على نفسه حكماً قاسياً وراجعاً  
إلى أبيه بانسحاق وتخضع عميق : "يا  
مُسْتَحَقًّا ) "

( : ) .  
ص التائب بالعشار مستغيثاً برحمة الله  
بتواضع قلبي وبحزن شديد وتنهيدات عميقة وواقفاً من بعيد غير مرید أن  
يرفع عينيه إلى السماوات وكان يقرع صدره ويقول: "اللَّهُمَّ  
الْخَاطِيءُ" ( : ) .

وقد اعترف آباء الكنيسة ومعلموها جميعهم بلا استثناء بأن الانسحاق  
على الخطايا هو خاصية جوهرية وملازمة للتوبة:  
فالقدیس كبريانوس كتب: «إخوتي الأحباء هلموا إلى الندامة والتخضع  
بنفس منسحقة وافحصوا خطاياكم واعرفوا ثقل الذنوب بضمير حسن  
وافتحوا أعين ... وبقدر ما نُكثِر من الخطايا نحن

مديونون أن ننوح على الخطايا» (في الساقطين ) .  
والقدیس باسیلسوس الكبير يقول: «يجب على التائبين أن يبکوا بمرارة  
وأن يُظهروا من قلوبهم سائر علامات التوبة» (في أدبياته ) .

والقدیس يوحنا الذهبي الفم يقول: « ان بكاء بطرس محا خطيئة  
عظيمة جداً فأنت إذا بكيت كيف لا تمحو خطيئتك؟ لأن إنكار ذاك لسيدته لم  
يكن جريمة صغيرة بل عظيمة وقوية، ومع ذلك محت الدموع الخطية.

أيضاً على خطيئتك، ولكن لا يكون بكاؤك على حسب العادة وفي  
الظاهر فقط بل ابك بمرارة مثل بطرس وقدم ينابيع دموعك من داخل العم  
حتى يتحنن عليك السيد ويصفح ذنبك» ( ) .

والقدیس غريغوريوس يقول: «مَنْ يعطي لرأسي ولجفوني ينبوعاً حي  
لكي أستطيع أن أتطهر بمجاري الدموع من كل دنس منتحباً على خطاياي  
كما يجب؟ لأن البشر الخاطئين والمتدنسي الأنفس يجدون أفضل علاج في  
« (في أشعاره).

### - أوصاف انسحاق القلب

أوصاف انسحاق القلب الحقيقي على الخطايا هي أن لا يكون ناتجاً عن  
مجرد الخوف من العقاب، أو نابغاً من الفكر العام في نتائج الخطيئة المبيدة  
في هذا العالم وفي العالم الآتي؛ لأن الانسحاق  
كهذه هو

باطل وغير مفيد. بل ينبغي أن ي  
انسحاق القلب

بمحبة الله الذي خالفت إرادته المقدسة، وضمير داخلي معترف بأنه أخطأ



بعصيانه وعدم شكره لإحسانات الله  
المحسن العظيم وصار بذلك بعيدًا عن استحقاقه له. بهذا حينئذ يكون  
الانسحاق حقيقيًا ومفيدًا.

ويُسمى الانسحاق الذئج عن المنطلقات الأولى حزناً عبودياً بحسب  
لا بنوياً بحسب الله. وبما أن هذا الانسحاق صادر عن خوف من الله  
يمكن أن يكون للخطيء بداءة اصلاح ورجوع عن الشر إلى طريق  
الفضيلة، ولكن لا يمكن أن يكون ندامة كاملة حقيقية وخلصية لنفس  
. وأما الانسحاق الذي على المنطلق الثاني فهو حزن بحسب الله، وهو

كما يقول بولس الرسول: " مَشِيئَةً يُنْشِئُ

" ( ٧: ١٠ ). لأن محبة الله وحدها هي التي تُد

الخطيء غمًا حقيقيًا وانسحاقًا لا رياء فيه، وتجذب له رضى الله وتؤكد له

في هذا قال القديس يوحنا الذهبي: «تنهد عندما تخطيء لا لأنك مزعم  
أن تُعذب، لأن هذا ليس شيئاً بل لأنك خالفت سيدك الوديع الذي يد ويد  
لخلصك حتى إنه أعطى ابنه عنك. فلماذا تنهد واصنع هكذا دائماً، لأن هذا  
هو اعتراف» (مقاله ٧). كما قال أيضاً: «

دخلت في المادة تنقي كل شيء هكذا حرارة المحبة حيث وقعت تنزع  
وتقطع كل ما من شأنه أن يفسد البذار الإلهي ويجعل الأرض نقية لقبول  
« ( ٧ على تيموثاوس ).

## - صلاح السيرة

صلاح السيرة هو في سر التوبة نتيجة ضرورية  
لانسحاق القلب على الخطايا. وكما إن الخطيء لا يمكن أن يكون له حزن  
حقيقي خطايا ما لم يكن غمّه ليس عن خوف العقاب فقط  
الله أيضاً. هكذا لا يمكن أن يكون ذلك الحزن حقيقيًا ما لم يشعر  
التائب في نفسه بشوق صادق وعزم أكيد على إصلاح حياته. وهذا العزم  
يطلبه كلام الله من الخطيء:

يوحنا المعمدان نبي التوبة " رَأى كَثِيرِينَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّادُوقِيِّينَ  
يَأْتُونَ مَعْمُودِيَّتِهِ، لَهُمْ يَا تَهْرُبُوا

الآتي. فَاصْنَعُوا تَلِيْقُ " ( ٧:٣ ).  
 الرسول كان يقول لليهود: " خَطَايَاكَ " ( : ).  
 وفي سفر الرؤيا يقول المسيح كنيسة أفسس: "فَأَذْكُرُ أَيْنَ آتِيكَ  
 وَأَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الْأُولَى.  
 " (رؤ : ).

وهذه الحقيقة نفسها علمها معلمو الكنيسة أيضاً :  
 فالقديس باسيليوس الكبير يقول: «ليس الذي يقول خطئت ويلبث مُصراً  
 على الخطيئة يعترف ينال المسامحة من الله. لا، بل الذي يجد خطيئته  
 ويبغضها كما قيل في المزامير. فما الفائدة للمريض من مهارة الطبيب إذا  
 كان هو يجلب لنفسه ما يُفسد حياته؟ هكذا لا فائدة من صفح الظ  
 يكف عن ظلمه، ولا من ترك الرجاسة لمن بقي في رجاسته...  
 المسامحة من الله لا يمكن للإنسان أن يبتدىء بالحياة الفاضلة. ولهذا قد أر  
 مدبر حياتنا الحكيم من الذي ا ببعض الخطايا  
 بالسيرة القويمة أن يضع حدًا للأمور الماضية ويجعل بدءًا جديدًا بعد  
 الخطايا، كأن حياته قد تجددت بالتوبة. يعترف بخطاياها مراراً  
 متكررة ثم يسقط فيها فإنه يعلق عنه تعطف الله ويتركه في  
 اليأس» (على إشعياء ). كما يقول أيضاً: «إنه لا يكفي للتائبين غفران  
 الخطايا وحده للحصول على الخلاص، بل من الضرورة أن تكون لهم أثمار  
 « (أدبيات ).

والقديس أمبروسيوس يقول: «يجب على التائب أن يغسل بالدموع  
 خطيئته وأن يستر الهفوات السابقة بأعمال صالحة كي لا تُحسب التوبة عليه  
 خطيئة» ( : ).

#### ٤ - الإيمان بيسوع المسيح

إن المتقدم إلى سر التوبة عليه الإيمان بيسوع المسيح والرجاء بتعطفه،  
 كما يقول عنه بطرس الرسول: "لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ يُؤْمِنُ بِهِ  
 يَنَالُ بِاسْمِهِ الْخَطَايَا" ( ١٠:٤٣ )، وأيضاً: "وَلَيْسَ غَيْرِهِ  
 لَيْسَ اسْمٌ بَيْنَ بِهِ يَنْبَغِي  
 نَحْلُصَ" ( ٤:١٢ ). وكما يقول :  
 :  
 بِالْإِيمَانِ

سَلَامٌ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" ( : ). ولأنه رئيس كهنتنا الأبدي العظيم لذا، كما يقول أيضًا بولس الرسول: " يَقْدِرُ يُخَلِّصَ أَيْضًا الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ هُوَ حِينَ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ" ( ٢٥:٧ ).

فمهما كان الحزن عميقًا ومهما كان العزم على إصلاح الحياة وتحسينها في المستقبل راسخًا، لا يمكن أن يُستحق غفران الخطايا من الله بدون الإيمان والرجاء بالرب يسوع المسيح.

### - الاعتراف الشفاهي

إن ضرورة الاعتراف الشفاهي بالخطايا أمام الأب الروحي هي نتيجة طبيعية تقتضيها خدمة الكاهن به حل الخطايا في سر التوبة، يحل الكاهن أو يربط خطيئة أية كانت يجب أن يعرف تلك الخطيئة. وقد أعطى ربنا رعاة الكنيسة سلطان الحل والربط، ليصفحوا للمعترفين عن خطاياهم بعد رجوعهم عنها، وليربطوا الخطايا التي لا تستحق المغفرة توبة مرتكبيها أو لعظمتها. وبما أن هذا السلطان يقتضي بالضرورة اعتراف التائب وإظهار خطيئته للأب الروحي لينال عنها صفحًا الاعتراف بالخطايا لرعاة الكنيسة في سر التوبة يجب أن يُعتبر مؤسسًا من ولا يمكن أن يُتمم بدون الاعتراف، حتى أن الذي يُنكر الاعتراف يضطر أن يعتبر في الكنيسة، وهذا يضاد الإنجيل الذي صرح به كما يضاد عمل الرسل والكنيسة.

وقد حافظت الكنيسة منذ القديم على الاعتراف بالخطايا وكان علنيًا الخطيئة وحده القريب أيضًا. تنازلت الكنيسة لأبنائها، طويلة الشرق تغير شيئًا في التوبة البتة وأبطلت الاعتراف العلني وحصرته بالاعتراف السري خاصة بين ف وكاهن الكنيسة الذي له وحده الحق في إعطائه غفران الخطايا. عرف يقفان الأيقونسطاس (حامل الأيقونات) يقف الصليب أيقونة السيّد جيل ويقف

الكاهن	جانبه	البطرشيل (الصدرية).	الشخصين
هذا	يؤكد	هو	الكاهن الاعتراف،
ليس سوى شاهد			والكنيسة ألزمت الكاهن المُعَرَّف الاعتراف

وشهادات على الاعتراف بالخطايا كثيرة، منها:

شهادة القديس إيريناوس (+ ) الذي يتحدث كيف بعض النساء من اللواتي كن ساقطات في هرطقة الغنوسيين وكفرهم لما رجعن إلى الكنيسة اعترفن بخطاياهن. وكيف أن أخريات لم يردن أن يدخلن هذا الامتحان المقدس فسقطن في اليأس (ضد الهرطقات).

والعلامة ترتليانوس (+ ) يوبخ الذين لا يريدون أن يُشهرُوا خطاياهم ويسمي ذلك خجلاً ، ويلاحظ عليهم أنهم وإن اختلفوا من البشر لا يمكنهم أن يَخْتَفُوا عن الله مطلقاً، وأنه خير لهم أن يرفوا ويحلوا من أن يَخْتَفُوا ويُدَانُوا. ويُشَبَّه الذي لا يعترف بخطاياها ويهلك بها بالمريض الذي يخفي داءه عن الطبيب المزعم أن يشفيه ( ).

والقديس كبريانوس (+ ٣٠٤ ) يشتكي من أن بعض القسوس كانوا يقبلون على المائدة المقدسة الساقطين في خطايا ثقيلة وغير معترفين بخطاياهم بتوبة ( ). وفي محل آخر يمدح إخلاص المؤمنين والبساطة التي كانوا بها يكشفون ستار ضمائرهم للقسوس ويعترفون أمامهم بأمراضهم الأدبية ويطلبون العلاجات لها (في الساقطين فصل ).

محل آخر أيضاً يقسم على المسيحيين أن يعترفوا بخطاياهم في الحياة الحاضرة التي يستطيعون فيها أن ينالوا الغفران من الكاهن (في الساقطين ).

ي (+ ٢٥٤ ) يتكلم بهذا الإيضاح عينه عن الاعتراف بالخطايا : «إنه يوجد ترك آخر للخطايا وصعب وممكن الحصول عليه بالتوبة وذلك عندما يُبَلِّغ الخاطيء فراشه بدموعه، وعندما تصير دموعه له خبزاً بالنهار والليل، وعندما لا يخجل بأن يكشف خطيئته أمام كاهن الله طالباً منه شفاءً، أو عندما يقول بعد الخطيئة: "قد عرفت خطيئتي ولم أخفِ إثمي قلت أعترف للرب بإ ". عملنا هكذا وكشفنا خطايانا ليس لله فقط بل للذين يستطيعون أيضاً أن

يشفوا جراحنا ومآثمنا تُمحي جهلاتنا : " كَغِيم  
حَطَايَاكَ. (إش ٤٤: ٢٢) » )

(اللاويين مقال ١٧).

القديس باسيليوس الكبير (+ ٣٧٩ ) يقول: «  
أولاً أن يصرخ في نفسه ويسحق قلبه ثم يصير قدوة صالحة للآخرين  
ويجعل توبته مسموعة ويُشهرها» (شرح إشعياء ).  
والقديس أمبروسيوس (+ ٣٩٧ ) يقول: «إن الرب أمر بتعليم صريح  
أن تُمحي الخطايا حتى أثقلها متى ندم الخطاة من كل قلوبهم واعترفوا  
ظاهراً بها وحينئذ تُسكب عليهم نعمة هذا السر السماوي» ( ).  
والقديس غريغوريوس النيسي (+ ) يقول للتائبين: «  
قدامي دموعاً حارة وغزيرة وأنا أعمل معكم هذا العمل عينه.  
الكنيسة شريفاً أميناً لكم في حزنكم وأبّ روحياً... وأن الخادم يحزن على  
خطيئة ابنه كما حزن يعقوب عندما رأى ثوب ولده الحبيب يوسف. فينبغي  
أن تعتبروا الذي ولدكم بالله أعلى من الذين ولدوكم بالجسد. فاكشفوا له  
أسراركم بجسارة أعظم، اكشفوا له أسرار نفوسكم كما يكشف المريض  
أحبه الخفية للطبيب فتناولون شفاء» (مقاله ضد الذين يدينون بمرارة  
خطايا الآخرين).

: هذا التعليم عينه نجده أيضاً في  
يوحنا الذهبي الفم، وثاودوروس أسقف هرقلية، وغريغوريوس الكبير  
وغيرهم.

كما أن المجامع المسكونية والمحلية حددت بتدقيق طريقة الاعتراف  
وزمانه ومكانه:

فمجمع اللاذقية في قوانينه يذكر: «إن الخاطئين بهفوات متعددة متى  
ثابروا على صلاة الاعتراف والتوبة وابتعدوا ابتعاداً تاماً عن الشرور  
يُعطى لهم وقت ندامة مناسب للهفوات ثم يسمح لهم بالتقدم إلى الشركة  
بحسب رأفة الله وصلاحه» ( ).  
الأول في القانون السابع يذكر نفس المعنى.

والمجمع المسكوني السادس في قوانينه يذكر: «يجب على الذين أخذوا من الله سلطان الحل والربط أن يفحصوا ماهية الخطية واستعداد الخاطيء . وعلى هذه الحالة يُقدمون علاجًا ملائ.

يُستعمل الافراط في كل من الأمرين فيفشلوا في تخليص المريض. الخطية ليس بسيطًا بل متنوع وكثير الأشكال وله فروع عديدة مضرّة يمتد منها الشر امتدادًا عظيمًا ويسري إلى الأمام (أي فيما بعد من حياة الإنسان) حتى يصل إلى أن يقاوم قوة علاج الم . فإذا يجب على الذي يُمارس الطب الروحي أن يلاحظ أولاً فكر الخاطيء وينظر إذا كان فيه ميل إلى الصحة أو بالعكس إنه بسوء أخلاقه يستدعي المرض إلى نفسه. وأن يلاحظ سلوكه وتصرفه مدة علاجه حتى إذا كان لا يقاوم الطبيب يعامله (الطبيب) بالرحمة التي يستحقها، ولا يزيد من قروح النفس بالعلاجات التي تُعطى لها بالزيادة، وهكذا ينبغي أن يستعمل الرحمة معه بحسب مقتضى الحال. تمام الكلام عند الله وعند مَنْ أُنْتُمِن على الرئاسة الرعائية هو أن يُرجع الخروف الضال ويشفيه من الجرح الذي جرحته إياه الحية القديمة. يدفعه إلى هوة اليأس بالتشدد لئلا يهلك، كما لا يُرَخَى له العنان لئلا يزدري ويسترخي في حياته. وعلى كل حال يجب على الراعي مقاومة داء ذلك الإنسان المدعو إلى الاستنارة العلوية كيفما كان إما بالأدوية الحارّة ( الحديد الحار) (الكاوية للجروح) وإما بالملي . وأن يجاهد الراعي بحكمة تدبيره أن ذلك الإنسان ينال ختم الفرح باختباره أثمار .«

وكما يُعلم القديس باسيليوس : «ينب :  
أعني أمر التدقيق وأمر العادة.  
يقبلوا الكمال» ( )  
الأمريين كليهما  
سَلِّم مع الذين لم

## ونتأجه غير منظورة والخطايا التي يشملها

قسم التوبة المنظور يكون قائماً بعملين الجوهريين وهما: \_\_ اعتراف  
نُب بالخطايا اعترافاً شفافياً أمام الكاهن . ثانياً ترك الخطايا  
الذي يقوله الأب الروحي بعد سماعه اعتراف التائب. عندما يتقدم  
المسيحي التائب إلى الكاهن وهو منقبض انقباضاً داخلياً  
ومنسحق القلب وعازم عزمًا ثابتًا على اصلاح سيرته في المستقبل ومملوء  
إيمانًا حيًا بالمخلص يسوع المسيح وكله رجاء به ومحبة له ويعترف بجميع  
خطاياها، يجثو المعترف ركبتيه يحني رأسه فيضع  
الكاهن البطرشيل (الصدرية) رأسه ويضع يده هو فوق البطرشيل  
ويتلو صلاة . وهذه الصلاة تصير بحسب كتاب الاعتراف الذي في  
الكنيسة الأرثوذكسية منه يقول الكاهن خادم السر: «يا  
المعترف الحقير الخاطئ أستطيع خطيئة  
هو يغفر الخطايا. أنت تعترف لذلك الصوت الإلهي  
الصائر إلى التلاميذ بعد قيامة ربنا يسوع المسيح من الأموات :  
" تركتم خطاياها ثركت له ومَ أمسكتم خطاياها ثمسك له". وعلى هذا  
به الذليلة  
تقله جهل نسيان مهما به هذا الدهر  
الدهر الآتي. تهتم له ذهب .»

غير

إن هذه النتائج هي: \_\_ : مسامحة الخطايا والحصول على التبرير منها  
كما يقول يوحنا الإنجيلي: " بَخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ،  
يَعْفِرُ خَطَايَانَا وَيُطَهِّرُنَا " ( يو : ) . ثانياً:

كما يقول بولس الرسول: " بالإيمان سلامٌ  
يَسُوعَ الْمَسِيحِ " ( : ). : لانعتاق من عقاب الخطيئة الأبدية ونوال  
الحياة الأبدية، كما يقول بولس الرسول: " بِنِعْمَتِهِ، نَصِيرُ  
الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ " ( ٧:٣ ).

كر شهادات للأباء القديسين في أفعال التوبة، وهنا يزداد عليها  
أقوال أخرى لهم:

فالقديس باسيليوس الكبير يقول: « ن مَنْ يَتمرغ في خطيئة يخلع النقا  
الحاضرة ولكنه لا يعدم التطهير المأمول من التوبة في المستقبل » ( إشعياء ١٤ ).  
يقول: «فإذا كنا نُعري الخطيئة بالاعتراف نصنعها عشبًا  
يابسًا يليق به أن يُؤكل من النار المُنقية» (على إشعياء ).

والقديس يوحنا الذهبي الفم يقول: «إن الأباء الطبيعيين إذا خالف  
أولادهم أحد من الرؤساء أو ذوي السلطة في هذه الحياة لا يستطيعون أن  
ينفعوهم شيئًا. وأما الكهنة فإنهم كثيرًا ما استعطفوا وصالحوا لا رؤساء ولا  
ملوكًا فقط بل الله نفسه» (في الكهنوت ). يقول أيضًا: «أخطئت فادخل  
الكنيسة وامح خطيئتك. لشارع تنهض هكذا كلما

خطئت تب عن الخطيئة ولا تيأس . وإن خطئت ثانية فتب توبة  
ثانية أيضًا ن يأس من الرجاء بالخيرات الموعود بها  
بسبب إهماله. وإن كنت في غاية الشيب وخطئت فادخل واندم، لأن هذا  
المكان هو ( ) وليس محكمة وهو ( ) يطلب مجازاة  
على الخطايا بل يهب صفح الخطايا» ( ).

والقديس يقول: «هكذا هو تنازل التعطف الإلهي لضعف  
البشر حتى إنه لم ينحصر في الصفح الذي يُعطى بالمعمودية  
ترك الخطايا الذي يُعطى بالتوبة لرجاء الحياة الأبدية. وكل مَنْ لم يحفظوا  
منحة إعادة الولادة بلا عيب وسقطوا من النعمة الإلهية بسبب خطاياهم  
يستطيعون أن يحصلوا ثانية على تعطف الله ومحبتة برجوعهم إلى كهنة  
الكنيسة واعترافهم لهم الخطايا واستحقاقهم الغفران... هذا الأمر ينبغي أن  
يصنعوه في كل حياتهم وعلى الخصوص في ساعة الموت» ( )

.



## - الخطايا التي تُغفر في السر

ثم إن قوة فعل النعمة الإلهية غير المنظورة وسلطانه في هذا السر ليسا محصورين في صفح خطايا البشر عموماً على الإجمال. وليست خطية في هذا العالم غير قابلة الغفران والمسامحة متى تقدمتها توبة صادقة وحقيقية واعتراف بالخطايا مع إيمان بيسوع المسيح ورجاء باستدائه (يسوع المسيح) بذاته الأب الخلاصي غير المتناهي. وقد قال المخلص: "

" ( : ) : "هَكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةٌ أَبِيكُمْ

يَهْلِكُ هُوَ لَأَنَّ هُوَ لِكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ يَشَاءُ يَهْلِكُ أَنَا، رَأَى إِخْلَاصَ تَوْبَتِهِ، فَقَدْ

يَحْسِبُ قَوْمٌ يُقِيلُ الْجَمِيعُ " ( : ) . وَيُوحَنَّا الرَّسُولُ يَقُولُ: "يَا

إِلَيْكُمْ هَذَا نُحْطِئُوا. أَحَدٌ شَفِيعُ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ . وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَا أَيْضًا" ( يو : ) يقول أيضاً: " بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، يَعْفِرُ خَطَايَانَا وَيُطَهِّرُنَا " ( يو : ) .

ثم إن بطرس الرسول لما دعا اليهود الذين صلبوا يسوع المسيح بأنفسهم إلى التوبة قال لهم: " وَلِيَعْتَمِدُوا يَسُوعُ الْمَسِيحُ

الْخَطَايَا" ( : ) . ودعا أيضاً إلى التوبة سيمون الساحر

جميع الهراطقة وقال له: " هَذَا،

يُعْفَرُ " ( : ) . وبولس الرسول صفح لشخص

ارتكب خطيئة اختلاط تخاذه لنفسه زوجة أبيه ( : )

بعد أن وضعه تحت قصاص وقتي قال عنه: " هَذَا يَكْفِيهِ هَذَا الْأَكْثَرِينَ" ( : ) .

يسوع: " خَطِيئَةٌ وَتَجْدِيفٌ يُعْفَرُ التَّجْدِيفُ

يُعْفَرُ " ( : ) . فإن يسوع يعني التجديف

المقاومة العنادية لحقيقة الله الظاهر

. كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «  
معنى هذا القول؟ معناه أن هذه الخطيئة حُصت بعدم المغفرة خلافاً لسائر  
الخطايا. ولماذا ذلك؟ لأنهم كانوا يجهلون المسيح مَنْ هو ولكن الروح  
القدس كانوا يعرفونه معرفة تامة. لأن الأنبياء إنما به نطقوا ما نطقوا  
أصحاب العهد القديم كانوا يعرفونه معرفة عظيمة جداً. فما يقوله معناه:  
" بسها.

تقدرون أن تقولوا في الروح أنكم تجهلونه؟ ولهذا فتجديفكم غير مغفور  
وسوف تقاصصون عنه هنا وهناك"» ( ٤).

قول يوحنا الرسول: " رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُحْطِئُ خَطِيئَةً لَيْسَتْ  
يَطْلُبُ، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُحْطِئُونَ لَيْسَ . خَطِيئَةً  
لَيْسَ هَذِهِ يُطْلَبُ. هُوَ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً  
لَيْسَتْ " ( يو : ١٧). فإن يوحنا يعني بالخطيئة التي للموت؛  
الشديدة والمعارك الضارية ضد التقوى الحقيقية وعدم الاكتراث  
لإصلاح السيرة إلى النهاية )

فعلى ذلك يكون في كلتا الحالتين عدم إمكان ترك الخطايا يكون  
من قِبَل الله ونعمته غير التائب. أما الله فإنه يغفر  
خطيئة من اللحظة التي فيها يرجع الخاطئون مرتكبوها ويندموا عليها من  
القلب بنية خالصة.

كما يشهد القديس يوحنا الذهبي الفم حيث يفسر التجديف على  
الروح القدس بالتجديف على اللاهوت وأن هذه الخطيئة تُغفر للتائبين، حيث  
يقول: «لأن كثيرين من الذين قالوا تلك الأقوال آمنوا فيما بعد وغُفر كل  
شيء لهم» ( ٤١).

وكما يقول آباء المجمع المسكوني السابع كذلك في إمكان ترك الخطايا  
: «إن الخطيئة التي للموت هي التي يُخطأها قوم ويلبثون فيها  
بلا تقويم. شنع من ذلك إذا كانوا يُقاومون الحق ويفضلون المال على  
طاعة الله ولا يتمسكون بفرائضه الشريفة. ولا يكون الرب الإله بين هؤلاء  
إلا إذا اتضعوا وصحوا من غفلتهم، لأنه ينبغي عليهم أن يتقدموا إلى الله  
ويطلبوا بقلب منسحق أن تترك لهم خطاياهم والمسامحة عن هذه الخطيئة،

لا أن يتباهوا بالعطاء المتجاوز الشريعة "والرب قريب من منسقي  
"« ( ) .

غير أن لما كان الإنسان بضعف بشرته مهما تم وصايا الله لا يقدر ولا  
تساعده قواه أن يزيد عليها أو أن يتممها كاملة، وكثيراً ما يهمل القصاصات  
الوقتية المفروضة عليه ويعرض عنها ولا يكملها كلها أو بعضها، للوصول  
إلى الكمال الإنجيلي المطلوب بالوصية القائلة: " **كاملين**

**هُوَ كَامِلٌ**" ( ٤٨:٥ ). وهذا الكمال هو الغاية  
التي إليها دُعي ويجب أن يسعى دائماً كل مسيحي، إلا أنه مهما تقدم في  
طريقها لا يصل إلى نهايتها، حتى أن الذين نكرهم بولس الرسول إذا لم  
يكونوا قادرين أن يُحسبوا كاملين ما كان لهم سوى أن يقولوا معه: "

هُوَ شَيْئاً .  
هُوَ الْعُلْيَا

المسيح يسوع" ( : ١٤ ). فالذي يعمل عملاً  
البر فإنه إنما يصل به إلى درجة عُلْيَا في سلم الفضائل المسيحية.

## القوانين المفروضة على التائبين ه مصدرها، تطبيقها في الكنيسة وحصر التوبة في الحياة الحاضرة

- القوانين الكذسية المفروضة على التائبين ومعناها  
" " بالنسبة للتائبين ه

يفرضه الكاهن بمثابة طبيب روحي على بعض المسيحيين الراجعين بتوبة  
عن خطاياهم لشفاء أمراضهم الأخلاقية لقوانين الكنائسية  
(قوانين المجمع المسكوني السادس القانون )  
" هَذَا يَكْفِيهِ هَذَا الْأَكْثَرِينَ، حَتَّى  
تُسَامِحُونَهُ وَتَعْرُوْنَهُ، لِئَلَّا يُبْتَلَعَ هَذَا  
لَهُ " ( : - ).

أما القوانين الأكثر شهرة فهي:

- صوم خاص يُفرض على التائب، بالإضافة إلى الأصوام المفروضة على جميع المؤمنين.
- حضور التائب إلى الكنيسة ومتابعة جميع الخدم الطقسية الشريفة التي تُقيمها، وكذلك الدروس التعليمية التي ترتبها.
- صلاة خاصة في البيت مصحوبة بعدد محدود من المطانيات ( ) .

٤- تقديم المساعدة المالية رحمة للمساكين.

- زيارة الأماكن المقدسة، والمكوث في الأديرة لفترة زمنية محددة تقوية لحسن العبادة.

- الابتعاد عن تناول من الأسرار المقدسة لمدة مناسبة لثقل الخطيئة.

هذه هي القوانين الأكثر استعمالاً، وهي لا تُفرض على جميع التائبين  
كيفما اتفق لكن بحسب ثقل خطيئتهم وطبيعتها أو بحسب أوصاف رجعتهم  
وكيفيتها.

## - القوانين الكذسية

إن مصدر القوانين الكنائسية هو المخلص نفسه الذي منح للكنيسة هذا السلطان حين منح سلطان ترك الخطايا للرسول وخلفائهم؛ لأنه لم يكتف بقوله لهم: " تَرْبُطُونَهُ يَكُونُ " أضاف : " تَحُلُونَهُ يَكُونُ " ( : ) وكذلك لم يكتف بقوله لهم: " خَطَايَاهُ لَهُ " أضاف أيضًا قائلاً: " خَطَايَاهُ " (يو : ).

وهذا السلطان عمل به الرسل القديسين فعليًا، فإن القديس بولس الرسول سقط في جريمة الاختلاط بالدم لنفسه زوجة أبيه ( : ) وأراد أن يشفيه فرض عليه أ صارمًا جدًا بقوله: " حَاضِرٌ هَذَا، هَكَذَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ... يُسَلِّمَ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلَاكِ تَخْلُصَ يَوْمَ يَسُوعَ " ( : - )، بمعنى أن يُقطع من الكنيسة. بعدما أعطى هذا القانون نتيجة خلاصية ورجع المُخطيء إلى الله كتب بولس الرسول إلى أهل كورنثوس أن يقبلوه في أحضان الكنيسة، قائلاً لهم: " هَذَا يَكْفِيهِ هَذَا الْأَكْثَرِينَ، حَتَّى تُسَامِحُونَهُ وَتَعْرِوْنَهُ، لِئَلَّا يُبْتَلَعَ هَذَا لَهُ " ( : - ).

## - الكنسية للقوانين على التائبين

إن الكنيسة تسلمت منذ تأسيسها سلطان فرض القوانين من الرسل القديسين على التائبين، وتشهد بهذه الحقيقة قوانين المجامع والآباء القديسين. وتفصيل أنواع القصاصات المتنوعة وأوصافها ودرجاتها وأوجه التساهل فيها تُذكر في ترتيب القوانين العمومية التي كانت الكنيسة من البداية تعمل بها. وبحسب هذا الترتيب كان التائبون ينقسمون إلى أربع رتب منها قانون خاص في حضور الخدم الكنائسية الشريفة العمومية: \_\_\_\_\_ رتبة، أو وصف، الباكين الذين لم يكن لهم حق أن يحضروا الخدم الكنائسية الشريفة العمومية، بل كانوا يقفون في خارج الكنيسة متضرعين بدموع إلى الداخلين ليطلبوا ويصلوا من أجلهم.

الرتبة الثانية: رتبة السامعين الذين كان مسموحًا لهم أن يدخلوا الكنيسة (المكان الموجود عند مدخل الكنيسة) في الخدم الكنائسية الشريفة العمومية. أما وقت حضورهم القداس الإلهي فيسمح لهم أن يسمعوا قرا ( مقاطع النبوات من العهد القديم) الموعوظين.

\_\_\_\_\_ رتبة الموعوظين، أو الراكعين، الذين كانوا يدخلون الكنيسة في الخدم الكنائسية الشريفة العمومية. أما وقت حضورهم القداس الإلهي فيظلون مدة أطول من الأولين حتى سماعهم المقطع الإنجيلي .

\_\_\_\_\_ رتبة المشتركين الذين كانوا يقفون داخل الكنيسة ويُشاركون المؤمنين في الصلاة كل مدة القداس الإلهي لكن دون أن تُناول لهم الأسرار المقدسة. (القوانين )

#### ٤- التوبة محصورة في الحياة الحاضرة

حيث أن التأديبات هي علاج لشفاء أمراض النفس فهي محصورة في الحياة الحاضرة حيث يمكن للخطأة أن يتقوّموا ويرجعوا ولا تمتد إلى ما بعد القبر؛ لأن الموتى لا يمكنهم بعد الموت أن يأتوا إلى سر التوبة ولا أن يقوموا بالشروط المطلوبة منه. فالكنيسة لا يمكنها أن تمد سلطانها في الغفران إلى نفوس المتوفين، غير أن استحقاق ربنا يسوع المسيح بذاته عدل الله الأب وفاءً كاملاً يمكن أن يخوّل نفوس الراقدين خلاصًا بمقتضى صلاح الله الذي لا يُحد. وهذا الصلاح تستمده لهم من لدن الإله الحق صلوات الأحياء المقدّ

وأعمال الرحمة وعلى الخصوص ذبيحة القداس الإلهي - الذبيحة غير الدموية - المُتمّمة عن نفوسهم. فينتج عن ذلك أن جميع الكنيسة يمكنهم

ويجب عليهم أن يطلبوا بقوة استحقاق ربنا يسوع المسيح الخلاصي

لقداس الإلهي من أجل الراقدين

ين لهم تعطف الله و ين للقوة الإلهية أن تستجيب هذه الطلبات أو لا تستجيبها من قصاصات خطاياهم أو لا تعنقهم.

والكنيسة لها في ذلك مثال القديس بولس الرسول الذي يقول  
 الثانية تلميذه تيموثاوس: "لِيُعْطِ لِيَبْتِ أُنَيْسِيْفُورُسَ، لِأَنَّهُ  
 كَثِيرَةٌ يَحْجَلُ ... لِيُعْطِهِ يَجِدُ  
 اليَوْمَ" ( : - ). وكما يرى غالبية المفسرين  
 أنيسيفورس الحين  
 يَجِدُ اليَوْمَ " يعتبر دليلاً  
 شخص يحرمانا عنه.

هذا النص في الكنيسة  
 هذه الراقدين  
 وهي الآن تكو في الكنيسة  
 الأرثوذكسية. القديس يعقوب أخو الرب يتلوا الكاهن الصلاة  
 التالية: «أذكر يا رب، يا إله الأرواح وكل جسد، هؤلاء كلهم  
 والأرثوذكسيين الذين تذكرناهم والذين لم نتذكرهم. أنت أرحمهم هناك في  
 كورة الأحياء في ملكوتك في نعيم الفردوس، في أحضان إبراهيم وإسحق  
 ويعقوب آ ننا القديسين حيث لا وجع ولا حزن ولا تنهد، حيث يسود نور  
 وجهك ويشرق على .» قداس القديس مرقس الرسول يتلوا  
 الكاهن الصلاة التالية: «أرح أيها الربُّ الهنا نفوس آبائنا وإخوتنا الذين  
 رقدوا على الإيمان بالمسيح، أذكر الأجداد الذين منذ الدهر والآباء ورؤساء  
 الآباء والأنبياء والرسل والشهداء والمعترفين والأساقفة والأبرار  
 والصديقين وكل روح توفي على الإيمان بالمسيح والذين نحتفل بتذكارهم  
 اليوم منهم، وأبانا ال يس مرقس الرسول والإنجيلي الذي أرانا طريق  
 .» وفي قداس كل من القديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا  
 الذهبي الفم يتلوا الكاهن الصلاة التالية: «أرح يا رب نفوس الذين ثو  
 على رجاء الحياة الأبدية حيث يُشرق نور وجهك». يُ الكاهن  
 الراقدين الصلاة التالية: «أيها الرب يسوع المسيح... يا مَنْ وهبت  
 للمديونين الذين كان عليهما، ومنحت الخاطئة غفران خطاياها، أنت  
 أيها السيد اصفح واغفر الخطايا والآثام الذ التي صدرت من عبدك  
 ( ) [ (فلانه)] إما عن إرادة أو عن غير إرادة، وإما عن معرفة

أو عن جهل أو عن تعد وعصيان لوصاياك... فأنت أيها السيد الصالح  
والمُنزه عن الحقد ارتض أن يُحلَّ عبدك هذا (عبدتك هذه) «.

كما يشهد بهذا آباء الكنيسة القديسين:

فالقديس ديوناسيوس الأيوباغى يقول: «خطايا حقيرة  
يعمل بعده، باهظة ثقيلة

وجهه».

أغسطينوس يقول: «المؤمنين  
المنتقلين، صالحين، تفيدهم  
شيئاً، ولكنها تعزية «.

فيلاريت متروبوليت ( ) حدى عذاته  
يقول: «الراقدين جارية الكنيسة

... وهي فيها لها.

القديمة الإلهي تشهد قدّاس يعقوب

... الراقدين التقاليد الرسولية».

أما عن طلب الكاهن شفاعته الشهداء القديسين في صلاة الحل للتائبين،  
فإن الشهداء والقديسين لن ينفعوا هؤلاء شيئاً لأنهم لا يستطيعوا أن  
يستعطفوا الله من دون تتميم التائبين التأديبات الكنائسية المفروضة عليهم  
وتقديمهم توبة خالصة ورجوعهم إلى الله من كل قلوبهم في حياتهم؛  
الشهداء والقديسين هم عبيد أيضاً، ولأنهم عبيد لا يستطيعون أن يشفعوا عن  
الخطايا التي اقترفت ضد السيد ذاته. كما لا يمكنهم أن يُقاوموا مشيئة الله  
والكلام الإلهي المدون في الإنجيل المقدس ويشفعوا بالعبيد غير المستحقين  
للشفاعة، وأن شفاعتهم لا تكون مقبولة إذا لم تكن عادلة.

والكاهن في صلاة الحل للمتوفين يستطيع أن يطلب الشفاعة، بقوله:

« ( ) »

ن الكاهن يرجو الشهداء والقديسين أن ينظروا إلى أعمال توبة الخاطيء  
وأن يلاحظوا باعتناء حالته الأدبية وأن يميزوا طبيعة خطاياهم وماهيتها وأن  
يشفعوا بالنادمين ندامة حقيقية والمستعطفين الله بانسحاق قلب وحدهم.  
فالكنيسة عندما تصفح للخطاة استناداً على شفاعة الشهداء والقديسين فهي



تفعل ذلك بناء على الشهادة التي يقدمونها بحق الخطأ على حقيقة توبتهم  
ورجوعهم من حيث هم أناس كاملون في صدق الشهادة.

القوانين بحسب الكنيسة الأرثوذكسية  
ومعناها بحسب الكنيسة الكاثوليكية  
والكنيسة البروتستانتية

- القوانين الكنسية الأرثوذكسية  
في الكنيسة الأرثوذكسية وانين

للتائبين؛ لكنها في حقيقتها ليست قصاصًا جزائيًا يُوفى به  
بل هو قصاص مقوم للتائب تأديب أبوي يماثل التأديب الذي تكلم به  
بولس الرسول بقوله: " يُحِبُّهُ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ يَقْبَلُهُ.  
التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمْ كَالْبَنِينَ. يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ" ( )  
: (٧) وكذلك بقوله: " عَلَيْنَا،  
" ( : ) .

والبراهين على صحة تعليم الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة في القوانين  
بأنها التأديبات الكنسية هي:

الجزاء الثقيل الذي أمر بولس الرسول بوضعه  
جريمة الاختلاط بالدم لنفسه زوجة أبيه ( : ) بأن يُ  
هذا الرجل من الكنيسة ومن شركة المؤمنين بقوله: " يُسَلِّمَ هَذَا  
لِلشَّيْطَانِ لِهَلَاكِ " ( : ) . والقصد من هذا التسليم لم يكن وفاء  
بل خلاص الخاطيء، كما يقول بولس: " تَخْلُصَ " ( : )  
( : ) . وبعد ذلك لما رأى الرسول أن التوبيخ إثره بقوله: " أَحَدٌ  
... لِنَلَّا يُبْتَلَعَ هَذَا " ( : -٧)  
أمر برفع القصاص عنه ومسامحته، بقوله: " تَسَامِحُونَهُ  
بِهِ،  
أيضًا.

المسيح" ( : ) . الرسول ذلك التوبيخ  
باحتراس تام وحنو أبوي حذرًا من أن يكون الافر

من الشفاء، فكتب إلى الكورنثيين قائلاً: "لِنَلَّا يُبْتَلَعُ هَذَا  
لَهُ" ( ٧ : ) .

والكتاب المقدس يُمَيِّزُ تَأْدِيبَاتِ اللَّهِ لِلْبَشَرِ إِلَى نَوْعَيْنِ: \_\_\_\_\_ قِصَاصَاتٍ  
بِهَا يُقَاصَصُ . يَصِفُ هَذِهِ الْقِصَاصَاتُ بِأَنَّهَا نَتَائِجُ غَضَبِ  
اللَّهِ تَثِيرُهُ عَلَى الْأَشْرَارِ شُرُورِهِمْ وَتَقْتَضِي مِنْهُ الْمَجَازَاةَ، كَمَا ذَكَرَ فِيهِ  
أَرْمِيَا النَّبِيُّ: "هَا . غَيْظٌ يَخْرُجُ، وَنَوَاءٌ هَائِجٌ. رُؤُوسُ  
يُتَوَّرُ" ( : ) " : \_\_\_\_\_ مُعَلَّنٌ

جَمِيعِ \_\_\_\_\_ وَإِثْمِهِمْ، الَّذِينَ يَحْجِرُونَ " \_\_\_\_\_  
( : ) . \_\_\_\_\_ تَأْدِيبَاتٍ بِهَا يُؤَدَّبُ بِهَا عِبِيدَهُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّاجِعِينَ إِلَيْهِ  
مِنْ كُلِّ قَلُوبِهِمْ. وَيَصِفُ هَذِهِ الْقِصَاصَاتُ بِأَنَّهَا تَأْدِيبَاتٌ أَدْبِيَّةٌ غَايَتُهَا إِصْلَاحُ  
الْبَشَرِ وَإِرْجَاعِهِمْ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الْخَيْرِ. " : \_\_\_\_\_  
أَحِبُّهُ أَوْبَحُّهُ وَأُودِّبُهُ. غَيُورًا " (رؤ : )، وَالْقَدِيسُ بُولْسُ  
سَلِيمَانَ ثَانٍ يَنْصَحُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَهْمَلُوا تَأْدِيبَ : "يَا  
تَأْدِيبَ \_\_\_\_\_" ( : ) .

الكتاب المقدس يعلمنا أيضاً في تبرير الخاطيء  
ينال التبرير الذي ببسوع المسيح مخلص العالم عليه أن يتم ثلاث :  
أولهما: \_\_\_\_\_ ثانيهما: الإيمان \_\_\_\_\_ ثالثهما: \_\_\_\_\_ .

\_\_\_\_\_ التي تُظهِرُ رَجْعَةَ الْإِنْسَانِ الْحَقِيقِيَّةَ إِلَى اللَّهِ فِيهِ الدَّمُوعُ  
والتنهيدات والصلوات والأصوام وسائر أعمال التقوى. وهذه الحقيقة قد  
ثبتها الله ذاته حيث قال: " \_\_\_\_\_

ثِيَابِكُمْ. \_\_\_\_\_ إِلَهُكُمْ لِأَنَّهُ رَوُوفٌ رَحِيمٌ،  
وَكَثِيرٌ وَيَنْدَمُ " (يؤ : ) . وهذه كلها  
ليست ليست إيفاءً لعدل الله غير المتناهي وليست ثمن للصفح الذي يناله  
التائب منه، بل دلائل خارجية يُظهِرُ بِهَا التَّائِبُ رَجْعَتَهُ إِلَى اللَّهِ فَيُصْفَحُ حَنُوهُ  
غَيْرِ الْمَتْنَاهِي عَنِ خَطَايَا .

الإيمان \_\_\_\_\_ دونه لَا يَ \_\_\_\_\_ : " \_\_\_\_\_  
بِالْإِنْجِيلِ " ( : ) " : \_\_\_\_\_ أَيْضًا بِيَسُوعَ  
الْمَسِيحِ، \_\_\_\_\_ بِإِيمَانِ يَسُوعَ" ( : ) .

فلأنها هي أثمار التوبة والإيمان والشهادة بها  
يعقوب الرسول: " يَتَّبِرُّ لَأَبِ الْإِيمَانِ وَحَدَهُ" (يع  
٢٤:٢) " : "الْإِيمَانُ" ( : )  
وكقوله أيضاً: " لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ هُمْ أَبْرَارٌ  
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ هُمْ يُبْرَرُونَ" ( : ).  
فعندما يُت هذه يستطيع أن ينال استحقاق  
المسيح الخلاصي بالروح القدس وهكذا يتعطف الله الأب ويوفي عدله  
الإلهي لا لأن التوبة والإيمان والأعمال الصالحة لها أمام الله الأب  
ذبيحة الغفران للابن واستعطف بالروح القدس وهي التي تفي عدل الله  
وثيرر الخاطيء، بل تحت هذا المعنى فقط وهو أن التائب باتمامه تلك  
الشروط يحصل باستعطف على استحقاقات منقذنا الإلهي  
ى عنا بذاته عدل الله الأب .  
لكن على الإنسان أن يناله بالتوبة والإيمان والأعمال الصالحة.

ثانياً: - قوانين المسكونية والمكانية. - قوانين الآباء  
القديسين.

- قوانين المجامع المقدسة المسكونية والمكانية.  
من القوانين الجمعية، فرض حتى الآن على جميع الخطايا  
على أثقلها وأعظمها:

القانون المجمعي الذي ورد فيه: «يجب على الذين نالوا من الله سلطان  
الحل والربط أن يفحصوا ماهية الخطيئة واستعداد الخاطيء للرجوع.  
وهكذا يقدمون علاجاً ملائماً للمرض حتى لا يُستعمل الافراط في كل من  
الأمرين فيفشلون من تخليص المريض. لأن سقم الخطية ليس بسيطاً بل  
متنوع وكثير الأشكال وله فروع كثيرة مضررة يمتد منها الشر امتداداً عظيماً  
ويسري إلى الأمام (أي فيما بعد من حياة الإنسان) حتى يصل إلى أن يقاوم  
قوة علاج المعالج» ( يقابل به

).

ورد فيه: «يجب على الذي يمارس الطب  
الروحي أن يلاحظ أولاً فكر الخاطيء وينظر فيما إذا كان فيه ميل إلى

إنه بسوء أخلاقه يستدعي المرض إلى نفسه. وأن يلاحظ اهتمامه بسلوكه وتصرفه مدة علاجه حتى لا يقاوم الطبيب ويزيد قروح التي تُعطى لها بالزيادة، وهكذا ينبغي أن يستعمل الرحمة معه بحسب مقتضى الحال» ( )  
يقابل به القانون من قوانين القديس باسيليوس).

ورد فيه: «

رئاسة الرعاية هو أن يرُدَّ الخروف الضال ويشفيه من الجرح الذي جرحته إياه الحية القديمة. ولا يدفعه في هوة اليأس بالتشدد، كما لا يرخي له العنان لئلا يزدري ويسترخي في حياته. وعلى كل حال يجب على الراعي مقاومة داء ذلك الإنسان المدعو إلى الاستنارة العلوية كيفما بالأدوية الحارة (من الحديد الحار) (الكاوية للجروح) بالملي . وأن يجاهد الراعي بحكمة تدبيره أن ذلك الإنسان ينال ختم الفرحة باختباره أثمار التوبة» ( )  
.

والقانون المجمع الذي ورد فيه: «إن التائبين يُرجعون ويُصلحون بتأديبات كنائسية لا تتجاوز الحياة الحاضرة، ومن ثم فالذين تمنعهم (الكنيسة) عن المناولة وقتًا ما يُقدموا فيه توبتهم تسمح لهم بأن يتناولوا الأسرار قبل تتميمهم وقت توبتهم إذا أشرفوا على الموت ولا تطلب منهم قصاصًا» ( ) ، ومجمع قيصرية الجديد قانون والمجمع النيقاوي الأول القانون ( ) .

- قوانين الآباء القديسين.

قوانين الآباء القديسين قوانين القديس غريغوريوس النيسىسي (+ ):

( ) الذي ورد فيه: «وكما أن غاية ممارسة الطب في معالجة الجسد واحدة وهي صحة المريض وطرق المعالجة كثيرة ومتنوعة، هكذا بما أن الآلام في المرض النفسي متنوعة فمن الضروري أن تتنوع طرق المعالجة الطبية أيضًا، فتأتي بالشفاء متى جرت ...  
يجب على المزمع أن يُعطي العلاج المناسب لقسم النفس المنسقم أن يُفحص

أين الألم ثم يُقدم للمسقيم . حتى لا يكون الطبيب  
بجهله منهج التطبيب سبباً لأن يصل العلاج إلى قسم آخر غير القسم  
«.

(٤) الذي ورد فيه: «أما الذين يندمون ندامة أكثر حرارة  
ويُظهرون بسيرتهم رجوعاً  
يختصر لهم زمان الاستماع ( ي ) على ما يوافق التدبير  
الكنسي ويجعلهم أن يكونوا في مصاف الراكعين.  
له أن يختصر هذا الزمان أيضاً ويمنحهم  
يرى ذلك موافقاً بعد اختباره حالة المُعالج».

( ) فيه: » بحسب ما تقتضيه قوة

ثمانية أو

عظيمة حتى تغلب الزمان وتجعل التائب يسبق  
الزمن الذين يطهرون أنفسهم من الأوساخ بتهاون في مدة طويلة...  
نه ينبغي هنا أيضاً أن نفحص عزم التائب وميله وأن لا يُحافظ على  
عدد السنين بالتدقيق متى كانت التوبة حقيقية، بل يُؤتى به بالطريق القصيرة  
إلى رتبته في الكنيسة ليشارك بالصلاح» (يقابل به القانون  
٧٤ للقديس باسيليوس الكبير).

( ) :» التلقائية الخاطئة ي

رديئة كثيرة فقد رأى أبائنا أن لا يُدققوا في جميع أنواعها  
تدقيقاً زائداً، ولا يعتبروا كل الزلات الحاصلة من الغيظ محتاجة إلى علاج  
( ) . على أن الكتاب المقدس يُنهي لا عن الضرب  
البسيط فقط بل عن كل خصام وتجديف أيضاً وعن كل ما ينجم عن الغيظ  
لكن الآباء جعلوا وحدها  
لتأديبات».

( ) الذي ورد فيه: «في كل نوع من أنواع الزلات يجب قبل  
كل شيء أن يُلاحظ ما هو ميل التائب. ولا يُظن أن الزمان كافياً للشفاء، بل  
هي النية الحسنة من الذي يعالج نفسه بالتوبة».

وهذا التعليم نفسه نجده في مؤلفات الآباء القديسين أجمع، فمن القديسين  
الشرقيين:

القديس باسيليوس الكبير الذي يقول: «إن الأطباء يأمرّون المرضى في مرضهم أن يصغوا لذواتهم ولا يهتمون شيئاً مما يأتي بهم إلى الشفاء، وكذلك الكلمة المطيبة نفوسنا تشفي النفوس المنسجمة بالخطايا بهذه المساعدة الصغيرة عينها. فانتبه إذا لذاتك واقبل المساعدة من المناسبة لذلك، فإن كانت الخطيئة عظيمة وصعبة فأنت في احتياج إلى اعتراف عظيم ودموع حارة وسهر طويل وصوم مستديم، وإن كانت الزلة خفيفة ومطاقة فلتكن التوبة مناسبة لها، لكن انتبه لذاتك لكي تعرف ما هي صحة النفس وما هو ضعفها» (في خطابه اصغ لذاتك).

القديس يوحنا الذهبي الفم الذي تكلم مطولاً عن التوبة والتأديبات بكل  
:ه

\_\_\_ : الله يصفح عن خطايا المسيحيين التائبين التي يرتكبوها بعد دية دون أن يفرض عليهم قصاصات. ويتضح هذا من قوله: «هذا ( ) إذا هو رسم للساقطين بعد حميم المعمودية. الدليل على أنه يُشخصن الساقطين بعد المعمودية فظاهر من كونه يُدعى ابناً؛ لأن ما أحد يستطيع أن يُسمى ابناً ما لم يكن معمدًا، وقد كان ساكنًا بيت أبيه ومتمتعًا بجميع ما له وقبل المعمودية لا يكن التمتع بما للآب فضلًا نوال الميراث. فكل هذه دلالات ظاهرة على أن الابن الشاطر يُشخصن المؤمنين... فبعد أن ذهب هذا الشاطر إلى أرض غريبة وعلم بالفعل كم هو شر عظيم سقوطه من بيت أبيه عاد إليه، ولم يحقد عليه أبوه بل قبله بأيدٍ . أما لماذا قبله أبوه هكذا؟ لأنه كان أبًا لا حاكمًا، ولذا فقد كان رقص وطرب واحتفال وكان البيت كله بائسًا ومبتهجًا. أهذه هي مجازاة الشر؟ إن هذه المكافأة أيها الإنسان ليست جزاءً للشر بل هي مكافأة للرجعة، وليست للخطيئة بل للتحويل (عن الخطيئة).

ذلك أن الابن الأكبر تدمر من هذه المعاملة، أما الأب فأقنعه :  
"يا حين، وأما هذا مبدئًا فعاش،

" . فكأنه يقول: "إنه عندما يُطلب تخليص الهالك لا وقت للمحاكمات ولا للفحص المُدقق، وإنما الوقت وقت العطف والصفح فقط" لأن الطبيب الحكيم لا يؤجل تقديم العلاج لعليه ويطلب منه جزاءً وقصاصًا طياشته التي نشأ عنها مرضه...  
عن أنه لا يأنف من

الراجعين إليه بل يقبلهم إلى درجة ليست أقل من درجة المُقَوِّمين، وأنه يطلب قصاصًا بل هو يأتي ويطلب الضالين ويفرح بوجودهم أكثر من المُخْصِين. فلا نياس إذا كنا من أشرار ولا نتهامل واثقين بأنفسنا إذا كنا من الصالحين. وينبغي أن نخاف من السقوط إن كنا من المُقَوِّمين، وأن نندم إن كنا من الخاطئين. وما قلته في أقوله الآن أيضًا وهو أن الثقة بالذات والياس لمن كان ساقطًا كلاهما خيانة في أمر خلاصنا، ولهذا يقول بولس الرسول صيانة للمُقَوِّمين: " يظن أنه فليُنظر يسقط"» ( ) .

ثانيًا: الله يأتينا القصاصات الوقتية عندما نرفض الرجوع إليه وأنه إنما يأتي بتلك التأديبات لقصد وحيد هو أن يشفينا من الخطيئة. ويتضح هذا من قول والقديس يوحنا الذهبي الفم: « رسوله بولس: " نا على أنفسنا لما حُكِّم علينا". لم يَ : " قاصصنا " : "لو كنا نُدين أنفسنا". أي لو أردنا أن نعرف خطايانا وحكمنا على نقائصنا لكننا انعتقنا من القصاص الذي هنا والذي هناك. لأن مَنْ يدين نفسه يستعطف الله استعطافًا مضاعفًا، أولاً بكونه عرف خطيئة، وثانيًا بكونه سيصير في المستقبل بعيدًا عنها. ننا لا نريد أن نصنع الأمر الخفيف أيضًا لا يقبل مع ذلك أن يعذبنا نحن والمسكونة كلها معًا، بل يشفق علينا في هذه الحالة أيضًا حاكمًا دينونة في حياتنا هنا حيث والتعزية كثيرة عتق من الخطايا والأمل الصالح بالمستقبلات يخفف علينا الحالة الحاضرة. وقد قال في ذلك معزيًا المرضى من جهة ومن جهة أخرى مشددًا عزيمة الآخرين: " علينا، " لم يُقَل: " ب أو نقاصص" : " ؛ لأن هذا الأمر إنما هو نصيحة لا حكم، ودواء لا قصاص، وتقويم لا تعذيب» ( ) :

\_\_ : ن واجب الرعاية والأباء الروحيين كله يقوم على شفاء الخطاة من الأمراض الأدبية بالتأديبات أو بوسائل أخرى لا بقصاصهم قصاصات خاصة على الخطايا. ويتضح هذا من قول والقديس يوحنا الذهبي : « المسيحيين بنوع خاص عن سائر الأمم لا يُسمح لهم أن يصلحوا هفوات الخطاة بالوسائل الإجبارية، ولهذا فإن الغرباء عن المسيحية عندما يمسون



أناساً مجرمين شريعة يمكنهم يحاكموهم بسطان عظيم  
ويمنعوهم رغماً عنهم. لكن نحن يجب علينا  
بالإجبار بل بالإقناع، لأنه لم نُعط من  
طية إجبارية لمنع الخطاة  
تبرير أن نستعمل القوة إن سمحت الشريعة ما دام الله  
يمنح إكليل الظفر للذين يبتعدون عن الخطية جبراً بل للذين يتركونها من  
تلقاء إرادتهم. ولهذا يحتاج الأمر إلى طرق كثيرة يقتنع بها  
يخضعوا طوعاً للعلاجات المعينة لهم من الكهنة ويعترفوا لهم أيضاً  
( لأنه إن هرب بعد الربط )

خطأه) فيجعل الشر أرواً مما كان، وإن أعرض عن الأقوال القاطعة مثل  
السيف يضيف باحتقاره إياها جرحاً على جراحه ويصبح أمر العلاج علة  
حيث ما يستطيع أن يُجبره أو يداويه كرهاً.

إذا؟ لأنك إذا أكثرت من الوداعة مع مَنْ يحتاج إلى قساوة عظيمة ولم ت  
في قياس الجرح العميق فتكون قد قطعت جانباً من الجرح وتركت منه  
... فلماذا يجب أن يكون الراعي ذا فطنة عظيمة وأن تكون له آلاف من  
الأعين ليلاحظ من كل جهة حالة النفس. لأنه كما أن كثيرين يصلون إلى  
درجة قطع الرجاء ويسقطون في اليأس من خلاصهم لعدم امكانهم احتمال  
رة، هكذا كثيرون غيرهم إذا لم ينالوا تأديبات توازي خطاياهم  
يسقطون في الاحتقار ويصيرون أشد مما كانوا ويتجراؤون على خطايا  
. فيجب إذاً على الكاهن أن لا يترك شيئاً بلا فحص بل أن يفحص كل  
شيء بتدقيق ويعطي ما هو موافق للليل حتى لا يكون تعبته باطلاً واهتمامه  
« (في الكهنوت خطاب : ) .

\_\_\_\_\_ :  
وتسمى قانوناً أو تأديباً إنما هي وسائط متنوعة غايتها تطيب الجراحات  
النفسانية ) . ويتضح هذا من قول والقديس يوحنا الذهبي

: « غير أن لك طريقاً أخرى أيضاً للتوبة سهلة جداً يمكنك إن سلكتها أن  
تنتق من الخطايا، وهي أن تُ

بضجر وهو لا يرفضك إذا داومت ذلك، بل يصفح عن خطاياك  
ويعطيك ما تسأل». ويكمل ه : «

نقول أن طرق التوبة الكثيرة والمتنوعة تجعل لنا الخلاص سهلاً...

خاطيء؟ إدخل الكنيسة قل خطئت فحل خطيئتك. لأننا ذكرنا داود كيف  
خطيء وحل خطيئته، ثم بينا طرقًا إخرى وهي النوح على الخطيئة وقلنا  
بماذا يقوم هذا التعب. فلا يُطلب منك أن تقدم دراهم، ولا أن تمشي طرقًا  
طويلة، ولا أن تعمل شيئًا آخر من ذلك بل أن تحزن على خطيئتك فقط...  
أننا بينا أيضًا طريقة ثالثة للتوبة وأتينا بذكر الفريسي والعشار من الكتاب  
الإلهي، وأوضحنا كيف سقط الفريسي من البر بكبريائه وعجرفته، وكيف  
أن العشار أثمر تواضعه عدلاً ونزل مبررًا وصار فاضلاً وهو لم يتكبد  
أدنى تعب لأنه قدم كلمات وأخذ أشياء. بالإضافة إلى ما سبق قوله فلنأت  
الآن ولنقدم لكم طريقًا رابعًا، وإن سألتهم ما هي هذه؟ قلت لكم هي الرحمة  
ملكَة الفضائل التي تُصعد البشر بسرعة إلى جسور السماء، وهي أفضل  
المدافعين عنهم» ( : ).

القديس يوحنا الذهبي الفم أيضًا: «فاعرف عدد العقاقير التي  
تشفي جراحك وضمدها بها بمواظبة والتي هي: التواضع، الاعتراف،  
الشكر في الضيقات، الرحمة بالمال والأعمال، الصلاة بجلادة، وعدم  
... فأني حجة تبرئنا ما دامت لنا طرق كهذه كثيرة العدد نصعد بها إلى  
السماء، وعلاجات متنوعة شافية لجراحنا إذا كنا نبقى بعد الحميم  
(المعمودية) على حالتنا نفسها؟» ( ٦:٤ في تفسير ارسالة الثانية إلى  
).

ومن القديسين الغربيين:

القديس كبريانوس الذي يحث الخطاة على التوبة بقوله: «  
الله من كل قلوبنا ولنطلب من الله المحب البشر ولنلقي بأنفسنا أمامه  
يُرضيه حزننا ولكي يلقي كل رجائنا عليه فهو يُعلمنا كيف يجب أن نتوب  
" الآن، يقول

ثيابكم  
رحيم، وكثير ويندم " (يو : ) ...  
وقدموا له توبة كاملة واطهروا حزن نفوسكم  
... هذه هي  
. غير أن الذي يرفض التوبة عن الخطيئة يغلق دونه باب  
... تلك هي التوبة العليا التي . وأما الذين يرفضون التوبة  
وهم في خطاياهم فإنهم يغلقون باب الرضى» (في الساقطين).



\_\_\_\_\_ : عندهم القصاصات لم تكن تفرض على جميع الخطايا بلا استثناء، بل بحسب جرم الخطيئة إذ كل خطيئة هي منافية لرضى الله، ذلك أن الغرض من القصاصات ليس وفاء عدل الله.

قوانين التوبة هي علاج لأمراض النفس (أي الخطايا) :  
\_\_\_\_\_ : القوانين من حيث هي تأديبات كنائسية يمكنها أن تُدَيِّ الخاطيء وتجعله يشعر بزلته عميقًا ويعترف بها أمام الله والكنيسة، ومن ثم تولد فيه كرهًا للخطيئة وشوقًا للتقويم والإصلاح. وهكذا لمسيحيين التائبين رسة جميع الشعائر التقوية والأعمال التي بها ينالون تعزية ورجاء وقت توبتهم. وهذه الشعائر والأعمال هي مبادئ حسنة لإصلاحهم.

ثانيًا: ن القوانين تقوم عل بتدريبات وفروض روحية تقويّة ين بشكل خاص ضد بعض الخطايا والأهواء والسيئات وتساء اقتلاعها من الخاطيء. يُفرض على الشره الميال إلى اللذات قانونًا وتأديبًا بالصوم والإمساك ( )، وعلى محب المال والبخيل بظلم غيره فعل الرحمة، وعلى المُسرف وعديم الشبع من المطربات العالمية مواظبة الكنيسة بتواتر وقرائة الكتب

قبوله القانون المفروض عليه وخضوعه له بنية صالحة يُسرّع إلى استأصال المرض القديم واقتناء عادات صالحة وأخلاق حميدة.  
\_\_\_\_\_ : ن القوانين من حيث هي تأديبات كنائسية فهي وسائط فعالة تحفظ الآخرين من السقوط في خطايا التائبين، فضلاً عن ذلك فهي تُساعد على اصلاح أخلاق أعضاء الكنيسة بوجه عام وتشريعات الكنيسة وتحديداتها ضد استبداد الضالين والعصاة من أبنائها.

على ما سبق قوله تكون الغاية من قوانين الكنيسة المفروضة على التائب في مُعتقد الكنيسة الرسولية الأرثوذكسية بمثابة عقاقير تُصلح لشفاء وإصلاح سيرة الخاطيء وتحسينها ليس هو وحده بل لجميع أعضاء الكنيسة أن التوبة المرضية لله هي التي يُظهرها الخاطيء بالأصوام والصلوات وأعمال الرحمة. وهذه كلها ليست إيفاءً لعدل الله غير المتناهي وليست ثمنًا للصفح الذي يناله التائب منه بل دلائل خارجية يُظهر

بها رجعت إليه فيصيح حنوه غير المتناهي عن خطاياها؛ لأن المخلص يسوع المسيح قدم للعدل الإلهي ضحية كاملة لبيتاع من لعنة الشريعة ومن الخطيئة جميع الخطاة.

## - معنى القوانين بحسب الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية

الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية تعتبر القوانين الكنسية المفروضة على قصاصات حقيقية ليس لتأديب بل غايتها أن التائبين يتكبدوا تلك القصاصات التي هي مجازاة وقتية يُ بها العدل الإلهي عن خطاياهم التي بها أهانوا الله. فالتأديبات الكنسية لديها في حقيقة الحال هي جزاء قانونياً واجب تنفيذ التنفيذ من الخطاة التائبين عن خطاياهم ليفوا عدل الله، غير أنهم مهما قدموا من توبة عظيمة لن تكون بقياس عظم الله. في سر التوبة يصفح عن خطايا التائبين ويعتقهم من المجازاة الأبدية التي تقتضيها خطاياهم، لكنه لا يتركهم بلا مجازاة بالكلية بل يطلب منهم وجوباً أن يتكبدوا مجازات وقتية لوفاء عدله الإلهي إما في هذه الحياة وإما بعد الموت في المطهر سواء فرضت عليهم تلك المجازاة من الكاهن الذي اعترفوا أمامه بخطاياهم أم لم تُفرض.

ولما كان الإنسان لا يقدر ولا تُساعده قواه على القيامك بتلك الأعمال التي بها يُ الله فكثيراً ما يهمل القصاصات الوقتية المفروضة عليه ويعرض عنها ولا يتممها كلها أو بعضها، حينئذٍ ينبغي أن يعرض العدل الإلهي عنها أو عما ينقص منها من استحقاقات يسوع المسيح غير المحدود.

الكنيسة البروتستانتية      التأديبات القانونية للتائبين رفضاً

البطريرك القسطنطيني أرميا ( - ) في جوابه

للاهوتيين البروتستانت: «أما رفضكم للتأديبات القانونية (للتائبين)

تماماً فنقول فيه: "إذا كانت تلك التأديبات تُفرض من الرجال الروحانيين بلا بيع ولا شراء بل مجاناً بمثابة علاجات للمتكبرين أو الطماعين أو الشرهين أو المفسدين بالشهوات أو الحسودين أو الغضوبين أو الكسالى أو الساقطين في خطايا غير هذه فإنها تنفع وتساعد الراجعين النادمين إذا فُرضت كما أمر الآباء الإلهيون أن تُفرض. إذا استعملت لربح وجمع مال للذين

يفرضونها لا للغاية المستقيمة النافعة ولا كما فرضت وكتبت لشفاء كل واحد من الخطايا حينئذٍ نحن أنفسنا أيضًا نرفضها ونقول إنها رديئة في ذاتها وفي فعلها وهذا لا شك فيه"» ( .)

كلما تقدمنا إلى سر التوبة بخشوع وانسحاق قلب على خطايانا،  
وكلما حصلنا من الأب الروحي على الصفح عنها يجب علينا أن نتم  
نا لله بالندامة على ما فات وعزمنا الثابت على إصلاح ذاتنا في  
والعيش بتقوى وبلا عيب ( ). ويجب أن يكون هذا الوعد  
تجاه أعيننا بلا انقطاع، ليجعلنا نثمر أثمار التوبة الحقيقية.

# لزيت المقدّس

## علاقة هذا السر مع وتعريفه، وأسمائه

- لزيت المقدس مع السر الذي قبله  
سر المسحة بالزيت منذ القديم يُتم بعد التوبة متحدًا بها  
الذي يتقدم إلى سر المسحة بالزيت المقدس يجب أن يكون تائبًا توبة صادقة  
حقيقية عن خطاياه لينال الشفاء الممنوح من الله بهذا السر الإلهي.  
الممنوح من النعمة الإلهية  
الروحية  
هو سر عمومي لجميع المسيحيين ومحصور في معالجة الأمراض الروحية  
أما سر الزيت المقدس فهو علاج أيضًا خلاصي لكنه ليس عمومياً  
مخصص للمرضى لئعالج به هم الروحية انية .

### - تعريف هذا

ف الكنيسة الأرثوذكسية الزيت المقدس بأنه هو سر به يمسح  
الكاهن بزيت جسد المريض ويستمد له النعمة الإلهية لشفاء  
الروحية وجسدانية.

### - لزيت المقدس

لهذا السر في الكنيسة الأرثوذكسية منذ القديم الأسماء التالية وهي:  
"زيت" "زيت مقدس" "صلاة الزيت" "تقديس بالزيت" "  
بالزيت " . ويُسمى أيضًا " ، لأنه يُتمّ  
( ) كهنة.



## تأسيس وفعله

- تأسيس

إن سر المسحة بالزيت المقدس مؤسس من الرب يسوع المسيح نفسه، عطي منه لرسله الأطهار مدبري الأسرار الإلهية. والقديس مرقس يصرح بهذا بكل وضوح بقوله: " (يسوع)

يُرْسِلُهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَعْطَاهُمْ  
وَأَوْصَاهُمْ يَحْمَلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ غَيْرَ

يَكُونُوا مَشْدُودِينَ . يَلْبَسُوا تَوْبِينَ...

وَصَارُوا يَكْرُزُونَ يَتُوبُوا. شَيَاطِينَ كَثِيرَةً، وَدَهْنًا

بِزَيْتٍ كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ" ( ٧:٦ - ) .

هو أمر مقرر الرسل لم ينادوا بشيء جديد من عندهم، بل كل ما كانوا يُعلمونه ويعملونه كانوا قد تعلموه من الرب، كانوا ينادون به ملهمين من الروح القدس الذي نالوه بوعده الرب، بقوله لهم: "

فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ جَمِيعَ لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ نَفْسِهِ،  
يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُحِبُّكُمْ آتِيَّةً" (يو : ) . والقديس

يعقوب الرسول يتكلم صريحًا في الإنجيل المقدس عن سر الزيت حاثًا المسيحيين بقوله: "أَمْرِيضُ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ. فَلْيَدْعُ فُسُوسُ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا

عَلَيْهِ وَيَذْهَبُوا بِزَيْتِ الرَّبِّ، وَصَلَاةِ الْإِيمَانِ الْمَرِيضَ،  
يُنْهَضُهُ، وَإِنْ خَطِيئَةٌ لَهُ" (يع ٥:١٤ ) . فهذه الأقوال

تدل على أن تأسيس هذا السر هو إلهي وفعله سري؛ لأن القديس يعقوب الرسول لا يتكلم هنا في أقواله هذه عن مسحة بالزيت كأنها عن مسحة زيت جديدة وغير معروفة عند مسيحي عصره، بل يتكلم عنها مشيرًا إلى أنها واسطة شفائية معروفة لجميع الرسل وعامة الاستعمال عندهم، وهو فقط يحث المسيحيين على استعمالها حين الضعف.

ومن المعلوم أن رسل الرب كانوا يُسمَّون خدام المسيح ومدبري أسرار الله فقط وليس مؤسسيها، كما يقول بولس الرسول: "هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا

المسيح، " ( ٤:١). ينتج من ذلك أن الزيت يستعمله المسيحيون، واسطة سرية دهم وأنفسهم هو وصية من الرب والروح القدس. كما يُستنتج أن هذا السر المعمودية وسر التوبة أيضًا تأسسوا بعد قيامة الرب حين قال لتلاميذه: " ( : ) " "يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَبْكُكُمْ" ( : )، يعني تأسيس كنيسة التي لأسرارها الإلهية الأهمية الكبرى في تعليمها.

إن مسحة الزيت المقدس تُعرف من فاعليتها أنها سر إلهي. تأسيسها الإلهي الذي هو علامة ضرورية لكل سر من الأسرار المسيحية. وهذه العلامة شاملة للعلامتين الأخريتين يُن في تعريف السر: العلامة المادية، أي مسح المريض بالزيت المُصلّى عليه. العلامة الثانية: نقة الطبيعة بفعل النعمة، أي غفران الخطايا

يعقوب الرسول تكلم عن هذا السر كلامًا عموميًا يُعم كل مرض، بقوله: "أَمْرِيضُ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ" (يع ٥:١٤) كان الزيت بالمسحة دواء عاديًا لكان أقارب المريض ي تطيبه وهذا ليس للكتاب المقدس حيث يقول الرب: "يَحْتَاجُ الْأَصِحَّاءُ طَيِّبِ" ( : ) غير أن يعقوب الرسول يحصر ذلك بالقسوس فقط ويأمر صريحًا بقوله: "فَلْيَدْعُ قُسُوسُ الْكَنِيسَةِ" (يع ٥:١٤). فهو لا ينسب القوة الشفائية إلى الزيت وحده، بل ينسبها بنوع خصوصي إلى صلاة الكهنة، على أن تكون بإيمان، وعمل الرب باستجابته لصلواتهم، بقوله: "فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَذْهَبُ زَيْتُ الرَّبِّ، وَصَلَاةُ الْإِيمَانِ الْمَرِيضَ، يُنْهَضُهُ" (يع ٥:١٤). وأخيرًا يقول إنه يُضاف إلى شفاء المريض غفران خطايا بقوله: "حَطِيئَةٌ لَهُ" (يع : ) وهذا الغفران لا يمكن بوجه من الوجوه أن ينجم عن الجسدي الذي يُمنح بالأطباء والأدوية.

يعقوب الأيتين (١٤:٥) يذكر مادة معينة لعمل وهي الزيت غفران الخطايا علاوة على شفاء الأمراض. كما أنه يأمر صراحة أن يُدعى قسوس الكنيسة لتتميم سر الزيت المقدس.

إن الكنيسة لم تترك استعمال شيء مما تسلمته من الرسل البتة وصية صريحة في الكتاب المقدس كالوصية التي ذكرها يعقوب الرسول وهي خلاصية لجميع المؤمنين. ويؤيد هذه الحقيقة أقوال معلمين الكنيسة الأقدمين الذين يشهدون بها بطرق كثيرة، و هم:

أوريجانيس الذي في تعداده الوسائط الكثيرة للحصول على غفران الخطايا كالمعمودية والاستشهاد والمحبة الحارة لله... الخ، يشير إلى أن سر المسحة بالزيت منذ القديم يتم بعد التوبة متحدًا بها، كما تُتم اليوم، في : «إنها توجد واسطة سابعة أيضًا لغفران الخطايا لكنها قاسية وصعبة وهي الغفران بالتوبة حين يبيل الخاطيء فراشه بدموعه وتصير له الدموع خبزًا بالنهر وبالليل وحين يعترف بخطيئته أمام كاهن الله ويطلب الغفران : "قد عرفت خطيئتي ولم أكنم إثمي قلت أعترف للرب بإثمي وأنت صفحت عن نفاق قلبي"»، ثم يقول: «وهنا يتم ما قيل من يعقوب : "هل فيكم مريض. فليدع قسوس الكنيسة فيضعوا عليه الأيدي ويمسحوه باسم الرب وصلاة الإيمان تخلص المريض وإن كان مرتكبًا خطايا تُغفر له"» ( ).

والقديس يوحنا الذهبي الفم حيث يقابل بين الكهنة والآباء الروحيين وبين الوالدين مستندًا على أقوال الإنجيل في سر التوبة وفي سلطان الكهنة في ربط الخطايا وحلها مستندًا على بيت الذي يُتم على ، فيقول: «أما أولئك (أي الوالدين) فيلدوننا لهذه الحياة، وأما هؤلاء (أي الكهنة) . أولئك لا يستطيعون أن ينقذونا من الموت الجسدي ولا أن يزيلوا مرضًا يتسلط علينا، أما هؤلاء فكثيرًا ما يخلصوا نفسًا مريضة وقريبة من الهلاك ويجعلوا عذاب البعض خفيفًا جدًا ولم يدعوا كثيرين أن يسقطوا في عذاب أو أن يُدنوا من عذاب ليس بالتعليم والإرشاد فقط بل بمساعدتهم بالصلوات أيضًا. لأن سلطانهم في غفران الخطايا لا ينحصر في البرهة التي يلدوننا فيها بالمعمودية بل يمتد إلى ما بعدها أي لأنه يقول: "أمريض أحد فيكم. فليستدع قسوس الكنيسة وليصلوا عليه

ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تخلص المريض وينهضه الرب وإن كان مرتكبًا خطايا تغفر له".  
الدِّين الطبيعيين لا يستطيعان أن ينفعا أولادهما بشيء إذا سقطوا تحت غضب أحد من ذوي التقدم والاعتدال في هذه الدار، لكن الكهنة يسترضون لهم لا رئيسًا ولا مَلْكَاً أَرْضِيًّا ذاته الذي يغضبونه مرارًا كثيرة» (في الكهنوت خطاب ) .

والقديس كيرلس الأورشليمي وهو يحارب السحر يذكر المسحة لا  
ة شفائية للأمراض بل يعتبرها عملاً في الكنيسة،

ويُ : «

بالحقيقة أن دُعَاكَ باسم رب الصاباؤت وسائر أنواع الدعاء التي ينسبها الكتاب الإلهي لله بحسب طبيعته تُحل مصيبتك. فصلّ هذه الكلمات وادعُ بها أفضل من أولئك المؤمنين بالسحر إذا كنت تقدم جد لله لا للأرواح النجسة. وإنني لمتذكر الكتاب الإلهي حيث يقول: "أمريض أحد فيكم. فليستدع قسوس الكنيسة وليصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تخلص المريض وينهضه الرب وإن كان مرتكبًا خطايا تغفر له"» ( ٤).

فيكتور قس كنيسة أنطاكية في القرن الخامس في تفسيره

عن تلاميذ يسوع المسيح "وَدَهَنُوا بَزَيْتٍ كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ" ( : يقول: «إن هذا ) لا يَ ق بالكلية عن عبارة يعقوب الرسول في رسالته الجامعة: "أمريض أحد بينكم. فليدع قسوس الكنيسة... ويدهنوه بزيت... " فإن الزيت يشفي الأمراض ويجلب النور والفرح. الزيت به يوضح لنا صلاح الله وينتج شفاء المرض واستنارة لأن الصلاة هي التي تصنع كل هذا الفعل كما يعلم كل واحد وإنما الزيت رسم له».

ومن شهادات الآباء التي تُسمى المسحة " :

البابا اينوشنسيوس (٤٠١-٤١٧) يقول: «يجب أن نفهم أقوال يعقوب الرسول: "أمريض أحد فيكم"، أن هذه الأقوال تتعلق بلا شك بالمؤمنين المصابين بمرض من الأمراض الذين يُدهنون إما بالطيب المقدس أو الزيت المقدس... إنه لا شك في أن الأسقف يستطيع أن يعمل ما هو في سلطان الكاهن، وإما أن الرسول تكلم عن الكهنة وحدهم فإنما أشار

بذلك إلى أن الأساقفة نظرًا لأشغالهم الكثيرة لا يستطيعون أن يتوجهوا إلى جميع المرضى... ولا ينبغي أن تُنمَّ المسحة على الذين هم تحت قصاص كنسي لأنها سر، فكيف يستطيع أن يشترك في هذا السر مَنْ هو ممنوع عن ار؟» (إلى الساقطين).

والقديس غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤) يكتب كيفية تنميم سر الزيت مع كل أفاشينه (صلواته) وتراتيله، ويذكر أن الكاهن يمسح المريض بزيت على اسم الأب والابن والروح القدس ويقول له: «لا يبق فيك الروح القدس مختفيًا... بل فلتسكن فيك قوة المسيح الإله والروح القدس لكي تُشفى بتتميم هذا السر وبمسحة الزيت المقدس وبصلواتنا بقوة الثالوث القدوس وتعود.» ( )

## مَنْ لَهُ أَنْ يُتَمِّمَ السَّرَّ، وَعَلَى مَنْ يُتَمِّمَ

إن الأقوال الرسولية ذاتها التي تشهد بتأسيس هذا السر من الرب قوته، تشير مِمَّنْ ينبغي أن يُقام سر الزيت المقدس يُتَمِّمَ.

- مَنْ لَهُ حَقُّ تَتْمِيمِ السَّرِّ

قول يعقوب الرسول "أَمْرِيضُ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ. فَلْيَدْعُ قُسُوسَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَذْهَبُوا بِزَيْتٍ" (يع ٥: ١٤)، يوضح أن الكهنة هم الذين لهم الحق في تتميم سر الزيت المقدس . غير أن قوله هذا لا يعني أن الأساقفة ليس لهم حق في تتميم هذا السر بل العكس؛ لأن الأساقفة هم خلفاء الرسل الأولون الذين دُ بقله عنهم: "ذَهَبُوا (تلاميذ يسوع) بِزَيْتٍ كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ" ( : ) وكذلك كما يقول بولس الرسول: "هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الْمَسِيحَ،" ( ٤: ١).

فبالأساقفة هم أصحاب الامتيازات في توزيع مواهب الروح القدس، والذين من سلطتهم أن يمنحوا هذا الحق للقسوس أيضاً. وقد ذكر يعقوب ينوشنسيوس

: «نظراً لأشغالهم الكثيرة لا يستطيعون أن يتوجهوا إلى جميع (إلى الساقطين). وقد جرت العادة في الكنيسة الأرثوذكسية منذ القديم أن يُتمم السر رؤساء الكهنة في الكنيسة بحضور جميع المؤمنين مرة كل سنة في يوم الأربعاء العظيم مساءً.

هذا يعقوب الرسول "أَمْرِيضُ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ. فَلْيَدْعُ قُسُوسَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَذْهَبُوا بِزَيْتٍ الرَّبِّ، وَصَلَاةُ الْإِيمَانِ الْمَرِيضَ، يُنْهَضُهُ، وَإِنْ حَاطِيَةً لَهُ" (يع ١٤: ٥) لا يُشير إلى موهبة شفاء الأمراض بالعجائب؛ لأن الذين ينالون موهبة فعل العجائب الفائقة الطبيعة يستطيعون أن يشفوا الأمراض

فقط لكنهم لا يستطيعون أن يغفروا الخطايا. ن مواهب العجائب

وموهبة شفاء الأمراض هي منذ زمن الرسل عمومية للمؤمنين بشكل عام

عن رتبته ومركزهم، كما ي : "وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ

وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ. فَإِنَّهُ لِيُؤَدِّعُ بِالرُّوحِ كَلَامَ حِكْمَةٍ،

وَلَاخِرَ كَلَامٍ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلَاخِرَ إِيمَانٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلَاخِرَ

مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلَاخِرَ عَمَلٍ قُوَّاتٍ، وَلَاخِرَ نُبُوَّةٍ، وَلَاخِرَ تَمْيِيزُ

الْأَرْوَاحِ، وَلَاخِرَ أَنْوَاعِ السِّنَّةِ، وَلَاخِرَ تَرْجَمَةِ السِّنَّةِ. وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا يَعْملُهَا

الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ" ( ١٢:٧-

١٢:٧-١٢:٧). يعقوب الرسول يتكلم عن طقس كنائسي معين وهو بحسب تعليم

الرسول لم يكن يتم من عامة المؤمنين، كما يقول بولس الرسول: " يَأْخُذُ

أَحَدٌ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ بِنَفْسِهِ، ( ٤:٥ ) "

الكنيسة وخدمهم كقوله: "وَهُوَ يَكُونُوا

أَنْبِيَاءَ، مُبَشِّرِينَ، وَمُعَلِّمِينَ، لِأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقَدِيسِينَ

لِبُنْيَانِ الْمَسِيحِ" (أف ٤: ١١ )

"

الْكَنِيسَةِ. إِلَيْهِ لَهُمْ يَوْمَ أَسِيَاءَ، كَيْفَ

وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ

...

فِيهَا كَنِيسَةَ اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ" )

( ١٧:٢٠ - )

- عَلَى مَنْ يُتَمَّمُ السِّرَ

إِنْ قَوْلَ يَعْقُوبَ الرَّسُولِ: "أَمْرِيضُ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ"، وَقَوْلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: "وَصَلَاةُ

الْإِيمَانِ الْمَرِيضِ" (يع ٥: ١٤ )، يَشِيرُ إِلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُتَمَّمُ

السِّرَ لَهُمْ هُمْ بِنَوْعِ خَاصِّ الْمَرِيضِ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ. وَيُعْنَى بِالْمَرِيضِ هُنَا

وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى الْإِنْجِيلِ؛ قَوْلَ يَسُوعَ: " ( ) مَرِيضًا " )

( : "جَمِيعُ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ " )

( ٤٠:٤ ) وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: " الْمَرِيضُ صَحَّ " ( ١٠:٧ ) وَأَيْضًا

قَوْلُهُ أَنْ يَسُوعَ أَرْسَلَ تَلَامِيذَهُ لِيَكْرِزُوا : "وَيَشْفُوا " )

( : )، وَبِقَوْلِ يُوْحَنَّا: " خَادِمٌ ابْنُهُ مَرِيضٌ " (يو ٤: ٤٦)

قوله: " جُمهُورٌ كَثِيرٌ وَعُرْجٌ " (يو)  
: ( أَيْضًا وَقَوْلُهُ: " إِنْسَانٌ مَّرِيضًا " (يو : ) المَرِيضُ عَمُومًا  
سواء كان مرضه ثَقِيلًا أو خَفِيفًا.



## ونتأجه غير منظورة ومفهومه بحسب الكنيسة الكاثوليكية

### الزيت المقدس

هو الزيت ويوضح هذا قول مرقس  
نجيلي عن : "دَهْنُوا (تلاميذ يسوع) بِزَيْتٍ كَثِيرِينَ  
فَشَفَوْهُمْ" ( : )، وقول يعقوب الرسول: "فِيصَلُّوا (الكهنة) عَلَيْهِ وَيَدْهِنُوهُ  
بِزَيْتٍ " (١٤:٥). على ذلك يجب:

\_\_\_: أن يتلو الكاهن صلاة تقديس الزيت. في الكنيسة الأرثوذكسية في  
القرون السابقة وحتى اليوم عادة أن يكون عدد الكهنة في تتميم سر الزيت  
المقدس سبعة، إن توفر عدد كاف من الكهنة، حيث يُقرأ في هذه الخدمة سبع  
مقاطع من الرسائل وسبعة مقاطع من الإنجيل مرتبطة بالشفاء، كما يُتلى  
سبعة أفاشين (صلاوات)، التي منها الإفشين التالي: «أيها الرب إلهنا يا مَنْ  
يؤدب ويشفي... يا من يهب الشفاء لكل من هو في سقم ومرض طويل... يا  
مَنْ أهلني أن أخدم أسرارهِ السماوية... تقبل ابتهالي وهب الشفاء لعبيدك  
هؤلاء (أو لعبدك هذا) المطروحين في أمراض النفس والجسد...  
جراحهم العادمة الشفاء مع كل مرض وكل سقم وامنحهم الشفاء النفساني...  
». لكن حيث أن هذا العدد لم يُعين من الرسل ولا هو في الكنيسة من الأمور  
الواجبة قطعياً يمكن أن ينقص عن السبعة حتى إلى ثلاثة والواحد فقط  
بحسب الظروف والتيسير كما يُصرح سمعان التسالونيكى وغيره. وفي هذه  
الخدمة توضع سبعة شمعات مضائة حول القنديل الذي به الزيت الذي  
يُصلى عليه، كما توضع قنينة بها خمر مع الزيت وكذلك كأس بها قمع.  
" في خدمة هذا السر هو للدلالة، أولاً: على مواهب

التي ذكرت في سفر إشعياء النبي

السبعينية اليونانية للعهد القديم: "وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ \_\_\_\_\_

## الفهم

(إش : ) . ثانيًا: عدد الصلوات السبع التي أنزل بها إيليا النبي المطر من ( ٤٣:١٨ ) . : عدد الصلوات والركعات التي قام بها ألي النبي ابن الشونمية ( ٣٢:٤ - ) . : عدد المرات التي اغتسل فيها نعمان السرياني في مياه الأردن فظهر من برصة ( : - ١٤ ) .

"مزج الزيت بالخمير" في خدمة هذا السر هو للتشبه بعمل السامري الحنون الذي صب على جراح الواقع بين اللصوص زيئًا وخميرًا .

" لتعزية المريض وتقوية أماله بالشفاء؛ لأنه كما أن حبة الحنطة اليابسة تنمو بواسطة الرطوبة الأرضية وتزهر إلى سنبله نضرة زاهية .

ثانيًا: مسح المريض بالزيت الذي بورك وتقدس بالصلاة عليه ويجب على المريض أن يؤمن أنه بدهن جسمه العليل بالزيت تعود إليه صحته ونضارته . مسح المريض يكون على شكل صليب في سبعة أماكن من جسده، وهي: الجبهة، الأنف، الفم، الصدر، الأذنان، واليدين من الداخل ومن الخارج .

## - الخلاصية

### غير لهذا

\_\_ : شفاء الأمراض الجسدانية . الرسل الأولون الذين "دَهَنُوا بِزَيْتٍ كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ" ( : ) يقول يعقوب الرسول "أَمْرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ فُسُوسُ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدَهْنُوهُ بِزَيْتِ الرَّبِّ، وَصَلَاةُ الْإِيمَانِ الْمَرِيضِ، يُنْهَضُهُ" ( ١٤:٥ ) .

وقد يكون هذا السر لكثيرين تعزية في مرضهم تقويهم على احتمال الأوجاع ذلك كما يفيد فعل "الإنهاض" "ينهض" الذي يدل في وضع المريض ليس على القيام والوقوف والإعادة إلى الصحة فقط بل على التقوية والتشجيع وإنهاض الهمة أيضًا . أما الذين ينالون التقديس بهذا السر في مرضهم ولا يحصلون منه على نفع البتة فالقول فيهم مثل القول في الذي يشترك بسر جسد الرب ودمه "يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْئُونَ لِنَفْسِهِ" ( : ) ، إذا يكون عدم انتفاعهم ناشئًا عن عدم استحقاقهم وضعف إيمانهم بيسوع .

ب موت المريض أحياناً يلغي فعل الزيت المقدس  
فغير صحيح؛ لأن قرب الموت لا يمنع تعزية المريض وصبرة على  
وهذا من أيضاً من نتائج فعل السر. والذين يطلبون الشفاء  
بلا بد كلما يتقدموا إلى سر الزيت المقدس ابتغاء الهرب من الموت، فهذا  
أمر غير مستطاع على الطبيعة البشرية مطلقاً؛ لأن كل إنسان يجب أن  
يموت ليأخذ في مجيء المسيح الثاني . لذا على المريض  
يبادر إلى سر الزيت المقدس ويُسلم ذاته لمشيئة الرب الذي يعلم أكثر من  
جميع البشر مَنْ الذي يوافق الشفاء وطول البقاء وَمَنْ يوافق  
كما يقول سليمان في سفر الحكمة عن الإنسان: "إِنَّهُ كَانَ مُرْضِيًّا لِلَّهِ فَأَحَبَّهُ،  
يَعِيشُ بَيْنَ فَنَقَلَهُ. خَطَفَهُ يُعَيِّرَ عَقْلَهُ، يُطْغِي  
العِشُّ نَفْسَهُ" (٤: ١١).

ثانياً: . فالقديس يعقوب الرسول بعد أن ذكر النتيجة  
الأولى من فعل سر المسحة في المريض وهي شفاء أمراض الجسد  
إليها النتيجة الثانية وهي شفاء أمراض النفس بقوله: "  
خَطِيئَةٌ لَهُ" (يع : ). فبلا شك يفترض يعقوب الرسول أن المريض  
قبل تقدمه إلى سر الزيت المقدس تقدم إلى سر التوبة، الذي هو سر آخر  
من الخطايا، لأنه غير ممكن أن يفترض أن ذلك المريض عديم .  
وهذه العادة لم تزل جارية إلى الآن في الكنيسة الأرثوذكسية بأن الذي  
يرغب ويتقدم إلى سر الزيت المقدس عليه أن يتقدم  
ويعترف بخطاياها أمام الأب الروحي.

يكون الإنسان في مرض ثقيل ولا تسعده حالته الضعيفة  
وانحطاط قواه الجسدية والعقلية أن يقدم ندامة حقيقية وكاملة عن خطاياها  
وأن يقوم بجميع الشروط المطلوبة في الاعتراف المقدس للحصول على  
له خطايا ثقيلة عليه لا يستطيع النطق بها  
بسبب حالته التي هو عليها. هذا كله الإله الكلي الصلاح أن يمنح  
واسطة شفائية جديدة بسر الزيت المقدس لشفاء  
صلوات الكهنة الذين يتضرعون بحرارة إلى الله ويدعونه باسم الكنيسة كلها  
لينال منه ذلك المريض غفران الخطايا وتطهير الضمير من كل شائبة  
جسدية وروحية. فمن جملة ما يصلونه قولهم: «نتضرع إليك ونتوسل في

هذه الساعة استمع لتضرعنا وتقبله كبخور مقدّم لك وظلل عبدك.  
قد خطيء بقول أو بفعل أو بذهن في الليل أو في النهار، أو صار تحت لعنة  
كاهن أو سقط تحت حرم ثقيل من رئيس كهنة حرم من ذاته  
حنث به،

له يا الله. واعرض عن آثامه وخطاياها وما صدر منه بمعرفة أو بغير  
«، وكذلك قولهم: «أيها الرب إلهنا يا مَنْ يودب ويشفي... يا من له  
سلطان أن يغفر الخطايا الكثيرة، يا من يهب الشفاء لكل من هو في سقم  
ومرض طويل... يا مَنْ أهلني أن أخدم أسرارها السماوية. وأقدم له قرابين  
من أجل خطيانا نحن وجهلات الشعب... تقبل ابتهالي وهب الشفاء لعبيدك  
هؤلاء (دك هذا) المطروحين في أمراض النفس والجسد وامنحهم  
مسامحة خطاياهم وغفران زلاتهم الطوعية والكرهية، واشف جراحهم  
العادمة الشفاء مع كل مرض وكل سقم وامنحهم الشفاء النفساني...». «  
فغفران الخطايا بواسطة سر الزيت المقدس المعين بنوع خاص للمثقلين  
بالأمراض هو تكملة لغفران الخطايا بسر التوبة. وهذا التكميل لا يُعنى به  
أن سر التوبة يُعتبر غير كاف لغفران كل خطيئة، بل لأن ثقل المرض لا  
يسمح للمريض أن ينتفع النفع التام من قوة الاعتراف المقدس الشافية  
نفسه والمخلصة إياه لهذا في مثل هذه الحالة على الغالب يُتمم سر الزيت  
المريض.

#### - مفهوم السر بحسب الكنيسة الكاثوليكية

تعتبر الكنيسة اللاتينية الزيت المقدس مسحة أخيرة للمريض وسراً يقوي  
نفسه على خوف الموت فلا يمسح الكهنة به المريض إلا عند قرب وفاته،  
لهذا فإنها تُسميه "المسحة الأخيرة" (extreme onction) "   
المنازعين". وقد بدأت هذه التسمية والممارسة عندها من القرن الثاني عشر  
بحسب شهادات المؤرخين اللاتين أنفسهم، مثل شاردون في "تاريخ المسحة  
الأخيرة"، وغيره. وهذا العمل لا ينطبق

أنفسهم والذي ذكره مرقس "وَدَهَنُوا (تلاميذ يسوع) بِزَيْتِ مَرَضِي  
كثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ" ( : ) على وصية يعقوب الرسول في هذا  
"أَمْرِيضُ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ قُسُوسَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدَهِّنُوهُ

بِزَيْتِ الرَّبِّ، وَصَلَاةِ الْإِيمَانِ الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُنْهَضُهُ" (يع ١٤:٥) ولا ترتيب الفروض في الكنيسة المشروحة من القديس البابا غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤) الذي كتب كيفية تتميم سر الزيت المريض تراتيله، كل أفاشينه (صلواته) التي منها: «فلتسكن فيك قوة المسيح الإله والروح القدس لكي تُشفى بتتميم هذا السر وبمسحة الزيت المقدس وبصلواتنا بقوة الثالوث القدوس وتعود إلى الصحة التامة» ( )  
). فهؤلاء جميعًا يكررون أن المسحة بالزيت المقدس هي لشفاء المريض وغفران خطاياها.

والكنيسة المسكونية في

الزاد الوحيد للخارجين من هذه الحياة هو جسد ودم المخلص في سر فخارستيا الذي يتقدمه سر التوبة. والبرهان على ذلك ما كُتب في قوانين المجامع المسكونية (القانون الثالث عشر للمجمع المسكوني الأول، وقوانين الآباء ( ) خامس للقديس غريغوريوس اللاهوتي) القديس باسيليوس نفسه بعد إقامته أول قداس لهي خذ من القدسات إلى منزله لكي يتناول منها وهو على سرير الموت. على أنه لا مانع من أن يُسمى هذا " حة أخيرة" إذا كان المريض الممسوح به في غيبوبة لا ينال ولا يستطيع الاعتراف والتناول من الجسد والدم

الإلهيين، فتكون تسميته بهذا الأسم إضافة لا مطلقة.

ذكره أعلاه فإن تسمية الكنيسة الكاثوليكية سر مسحة الزيت المقدس "المسحة الأخيرة" (extreme onction) "سر المنازعين" هي تسمية خاطئة.

## التقدّم إلى سر الزيت المقدّس

بسر الزيت المقدس يُطهَر المريض من خطاياہ وفضلاً عن ذلك يُشفى من أمراضه الجسدية ويُقيمه الرب وإن كان قد ارتكب خطايا تُغفر له. يجب على الذي تقدم لسر الزيت المقدس أن يخصص حياته لله وحده الذي منحه إياها نقذه من خطر فقدانها.

مطرائية طنطا وتوابعها